سليمان فائق بك

عشائر المنتفق



تقديم المؤرخ
عبدالرزاق الحسني

الدار العربية للموسوعات

عشائر المنتفق

عشائر المنتفق

تأليف
سليمان فائق بك

تقديم
المؤرخ عبد الرزاق الحسني

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

2003 م ـ 1424 هـ

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

الحازمية ـ هاتف: 952594 /009615 ـ فاكس: 459982 /009615

ص.ب: 511 ـ هاتف نقال: 388363 /009613 ـ 525066 /009613

بيروت ـ لبنان البريد الإلكتروني: E mail:arab-enc-house@lynx.net.lb

كلمة الدار

وبعد فإن أهم ما يتطلع إليه الإنسان معرفة أخبار العصور الغابرة من القرون الأخيرة في العراق، لأن النكبات التي توالت على مدينة بغداد وملحقاتها كانت قد أشغلت أرباب الهمم عن ضبط الحوادث المهمة إلا ما ندر منها، وهذا النادر أيضاً لم ينشر بعد، ومهما نقّب المنقبون ونقّر المتخصصون لم يعثروا على شيء من هذا القبيل اللهم إلا النزر اليسير الذي لا يفي بالمقصود. هذا والناس اليوم في حاجة عظيمة إلى معرفة ما حدث في بغداد دار السلام منذ انقراض الدولة العباسية فيها إلى حد الأزمنة الأخيرة التي راج فيها سوق العلم فتنوّرت الأفكار، ونبغ فيها العلماء الأجلاء. وكل ما وصل لدينا من التواريخ التي نحن بصددها كتاب «حديقة الزوراء» للسويدي. وهذا مع كونه مقصوراً على أخبار رجلين من الولاة، لا يخلو من الفائدة لو ينتشر بين طبقات الناس.

وقد عثر الباحثون على رسالةٍ صغيرة في التركية تخبر عن دولة المماليك في بغداد فعرّبها أحد الفضلاء[1] وعلى هذه

(1) وضع هذه الرسالة باللغة التركية المرحوم سليمان فائق بك، والد السيد =

الرسالة التي سمّاها صاحبها بالخبر الصحيح عن عشائر المنتفق، وذكر كيفية ظهورهم وحكمهم[1] لكن المصنّف سليمان (فائق) بك كتبها بصفة مقالة واحدة وقد أحسن ترتيبها فجاءت بحجم رسالة تاريخية لا يستغنى عنها.

الدار العربية للموسوعات

= حكمة سليمان رئيس الوزراء الأسبق، ونقلها إلى اللغة العربية الأستاذ محمد نجيب الأرمنازي، وقد طبعت في بغداد سنة 1961.

(1) هي هذه الرسالة وقد ساعد على نشرها نجل المؤلف: السيد حكمة سليمان.

المقدمة

امتاز مجلس السيد حكمة سليمان رئيس وزراء العراق في العهد الملكي بالدعة والحشمة، واشتهر صاحب المجلس بالنبل وكرم المحتد، وإنك لتجد في هذا المجلس الكهل والشاب والأديب، والسياسي والصحفي والأريب، فتدور فيه بينهم أحاديث تأريخية منوعة، وطرائف أدبية مستملحة، وتستوفي القصص التأريخية معظم الأوقات، فالناس يبحثون دائماً عن الماضي ما قرب منه وما بعد.

وبينما كان الحديث يدور ذات يوم حول المؤلفين العراقيين وآثارهم القلمية، **عرف أن السيد سليمان فائق، والد السيد حكمة سليمان، كان من الإداريين الأفذاذ الذين أسهموا في تسجيل حوادث العراق الماضية**، وأن له عدة مؤلفات بعضها مطبوع وأكثرها ما زال مخطوطاً، وكانت كلها باللغة التركية، لغة الحكومة الرسمية السائدة في أيامه، فعرضت على السيد حكمة سليمان فكرة طبع هذه المؤلفات خدمة لأبناء هذا البلد وإحياءً لذكرى والده، فلم يبد اعتراضاً على هذا العرض، ولما كان الأستاذ محمد نجيب الأرمنازي سبق أن عرّب كتاب

«تاريخ المماليك في العراق» وكانت في مكتبتي نسخة من هذه الترجمة فقد تم طبعها حالاً.

ولما روجعت قائمة مؤلفات السيد سليمان فائق، وجد أن كتابه «تاريخ المنتفق» هو الآخر نقل إلى العربية، وهذه النسخة العربية موجودة في خزانة الأستاذ كوركيس عواد فاستعرتها منه ونسختها بيدي، وواليت تحقيقها وإضافة بعض الكلمات إليها ليستقيم معناها ومبناها. ثم راجعت الأستاذ الكبير الشيخ علي الشرقي ورجوت منه أن يولي هذه المخطوطة عنايته، بصفة كونه أحد المتخصصين بتاريخ المنتفق وحوادثه، فتفضل مشكوراً وراجع الكتاب من أوله إلى آخره، ولما كانت ملاحظاته وتعليقاته ذات أهمية، جعلت بعضها في الهامش. أما بقية هوامش الكتاب فهي لي، وكذلك كل ما في العضادتين « » **في صلب الكتاب فهو من عندي وعلى مسؤوليتي.**

لم تكن لغة ترجمة الكتاب متينة ولكنها تفي بالمرام ولا يعسر فهمها على القارىء الهمام. ولم يكن في الإمكان مراجعة هذه الترجمة على الأصل التركي لأن الأصل عبارة عن مقالات متسلسلة نشرت في صحف دورية متفاوتة، وبأوقات مختلفة. والظاهر أن نسخة الأستاذ كوركيس عواد هذه هي النسخة الوحيدة التي سلمت من دواهي الحدثان لأني كلما بحثت عن نسخة أخرى لمقابلتها والتثبت من صحتها باءت جهودي

بالفشل. ومما يزيد في قيمة هذه النسخة أني وجدت فيها تصويبات مهمة بقلم المحقق الكبير المرحوم يعقوب سركيس، وهي تصويبات لها قيمتها التأريخية.

السيد عبد الرزاق الحسني

أسباب تسمية المنتفق بهذا الاسم[1]

«المنتفق» لفظة عربية واسم مرتجل ليس بمنقولٍ من صفة، فمن الوهم ما تصوّره البعض أن «المنتفق» من الاتفاق والنون من زيادة المولدين. إن هذا الاسم عريق ضارب في القدم قبل أن تتصل بنو مالك بآل أجود، وكتب الأنساب تذكر «بنو المنتفق» وبنو المنتفق هؤلاء عرفوا باسم أبيهم المنتفق بن معاوية بن عامر بن عقيل، فلا صحة لما ذكر في سبب التسمية.

إن بني مالك وآل أجود ليسوا من صميم بني المنتفق فقد ذكرت كتب الأنساب أن بني مالك إخوة بني المنتفق، وأن آل أجود حلفاء بني المنتفق وعليه فيظهر أن بقية بني المنتفق اليوم إما أن يكونوا «الجوارين» و «الشريفات» و «الصبحة» وهم بدو في بادية البصرة، أو أنهم «بنو سعيد» أهل قرى «حطامان» وسعيد هذا أب ثانٍ اشتهر في بني المنتفق فانتسبوا له، وإن بني

(1) راجع هامش الصفحة 17 من هذا الكتاب.

سعيد اليوم ثلث من بني المنتفق باعتبار أنهم وبني مالك وآل أجود أثلاث.

وفي القرن الخامس كان بنو المنتفق ينزلون ريف البصرة وكان يقال لهم أهل السعفة، ويقال لزعيمهم مقدّم بني المنتفق وتقدموا إلى بطائح الغراف، وعلى الأكثر كانت الزعامة فيهم للأغراب عنهم، فكانت لقوم من ربيعة يقال لهم «بنو معروف» ومن بعدهم لحكام البصرة (الطوال) وهم آل راشد وهم من ربيعة أيضاً، ومن بعدهم كانت آل شبيب ومن بعدهم آل سعدون. هذه هي الزعامة العامة. أما زعامة بني مالك فكانت لآل خصيفة، وزعامة آل أجود كانت لبني وِثال وهم أجداد آل حيدر، البيت المعروف في «سوق الشيوخ» أما آل منّاع فليسوا بالعريقين في زعامة آل أجود إنما هم منصوبون لآل سعدون وتابعون لهم. ومما تقدم نرى أن ما جاء في تسمية المنتفق وما جرّ إليه البحث من مبدأ زعامة آل سعدون على المنتفق قصص روائي أشبه بأسطورة.

ومن التتبّع والبحث يلوح أن مبدأ زعامة آل شبيب وانتقالها من بعدهم إلى أحفادهم آل سعدون هو أن رجلاً محترماً اسمه «الشريف حسن» هبط من جهة المدينة المنوّرة ومعه ولده «شبيب» وابنته «نوره» ويموت ولده «شبيب» وإحياءً لذكره ينشىء الشريف حسن حول قبر ولده قرية يسميها «الشبيبية» وهي اليوم معروفة في بادية نجد والعراق، ويسم إبله

بسمةٍ يطلق عليها اسم «الشبيبية» وهي السمة التي يسم بها آل سعدون إبلهم إلى اليوم، وكذا كافة بني المنتفق. ثم تموت «نورة» فيجزع عليها أشد الجزع وحتى يومنا هذا نجد نعار آل سعدون «إخوة نورة» ويهجر الشريف حسن مكانه في الجزيرة هابطاً إلى بادية العراق «الشامية» وينزل على زعيم بني مالك «شيحان بن خصيفة» فأذمّه وأكرم وفادته. ويقترن الشريف حسن بابنة زعيم بني خالد، وهم رهط من بني مالك، وحتى اليوم يقرّ آل سعدون بخؤولة بني مالك. وأنجبت بنت زعيم بني خالد محمداً وعبد اللّه وشبيباً ترعرعوا بين أبيهم الشريف وأخوالهم الكرام. ودرج الشريف حسن وبقي أولاده في رعاية أخوالهم زعماء بني مالك الذين كانوا يخضعون لحكام البصرة من «آل راشد» وكانت مخايل النبوغ وإمارات النبل تلوح على قسمات أولاد الحسن.

وتحدث مشادّة بين زعيم بني مالك وآل راشد الذين زحفوا على بني مالك بجيشٍ لا قبل لهم به ويتوسط الشيخ محمد ابن الشريف حسن بين أخواله وآل راشد فيصادف حظوةً وقبولاً، وينكشف الجيش عن بني مالك ويصبح في ذلك العهد الوسيط المقبول الموفّق، وقد تمكن من قلوب بني مالك أي تمكّنٍ فرغبوا إليه وإلى أخيه شبيب الثاني دون زعمائهم أن يتقلدا من آل راشد وكالة الجباية فكان هذا مبدأ الزعامة.

ويحدث خلاف ومقاطعة بين عشائر بني مالك وعشائر آل

أجود فيقود الأخوان جموع بني مالك وتكون مجزرة كبرى يفنى فيها آل أجود تقريباً، وتخضع بقيتهم إلى زعامة الأخوين. وتسمع اليوم نعار آل أجود في الشدائد «يتيم» إحياءً لذكرى ذلك اليوم المبيد. أما نعار بني مالك فهو «أولاد عامر» نسبةً إلى جدّهم الأعلى عامر.

آل راشد والحكومة العثمانية[1]

كان حكام البصرة في القرن العاشر للهجرة قوم من ربيعة يعرفون بـ (الطوال) يقال لهم آل راشد وهم من زعماء تلك الأنحاء، وكانت الإمارة في خمسة منهم: غانم بن بدر، ومهنا ابن رحمة، ومغامس بن محمد، ومغامس الثاني، وراشد بن مغامس. وراشد هذا هو الذي سلّم مفاتيح البصرة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني متظاهراً بتسليم البلاد، وما كان إلا مخادعاً. فبدهائه جعل البصرة كرة تدحرجها الحوادث بين الصفويين ومركزهم في شيراز، وبين العثمانيين المنكمشين في بغداد، والشيخ راشد يلعب على الحبلين. أما كرة لعبه فلم تكن إلا مدينة البصرة وگردلان والمنّاوي فقط، وبقية النواحي كانت بيد المتغلّبة من العشائر، ومناطق نفوذ. ولم تكن لهم رغبة في الانحياز إلى العثمانيين. وكان أهم العشائر المناوئة بني المنتفق

---

(1) راجع هامش الصفحة 24 من هذا الكتاب.

وموالي الحويزة ودامت الحرب سجالاً بين بني المنتفق. والحكومة العثمانية من جهةٍ، وبين الحكومة وموالي الحويزة والفرس من جهة أخرى، والبصرة تتعاورها الأيدي بين هؤلاء وهؤلاء؟.

في سنة 1202 هـ، وفي عهد مشيخة ثويني آل عبد اللّه، يتفق الشيخ ثويني، والحاج سليمان بك الشاوي، وخالد أغا، وهو قائد كردي، اتفقوا على محاربة العثمانيين فامتلكوا البصرة وتقدموا إلى جهة بغداد حتى بلغوا «بادرايا» وكانت يومئذٍ مركز الحكومة العثمانية قبل إنشاء مدينة الكوت، ولكن الوالي سليمان باشا زحف بململة كبيرة من الجيوش العثمانيين وتغلّب عليهم، وبعد انكشافهم عن البصرة يحصل التفاهم والعفو.

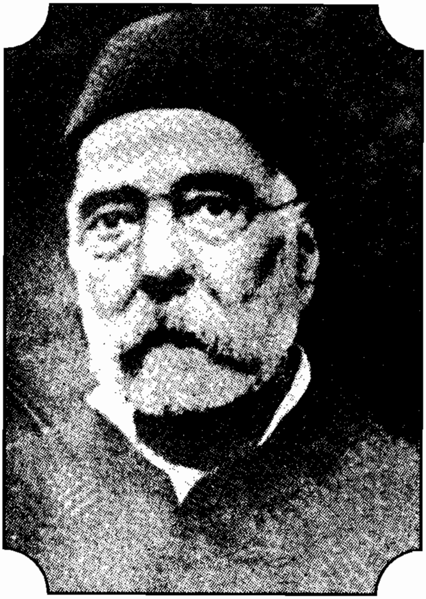
وقد كانت الدعوة الوهابية تزعج الحكومة العثمانية أيما إزعاج حتى قامت لها قيامة الأستانة وتشبثت بعدة تشبثات: منها الاهتمام بقصبة «الزبير» وتحصينها، ومنها إنشاء «الخميسية» في بادية «سوق الشيوخ» وجعلها مخفراً قوياً، ومنها تجهيز الشيخ ثويني لمحاربة الوهابيين، ويتقدم الشيخ براية المنتفق زاحفاً على الوهابيين، وبعد الظفر بهم يغدر به فدائي اسمه «طعيس» الذي باع نفسه على قومه الموتورين ودخل على الزعيم في ديوانه العام بصفة وافد، ودنا ليقبل يد الزعيم فطعنه بحربة مسمومة أردته قتيلاً.

وفي عهد حمود الثامر توفي سليمان باشا والي العراق الذي كانت له أياد مشكورة على الشيخ حمود الثامر، وبعد وفاة

سليمان باشا أراد رؤساء الجيش وقادته نصب ولده سعيد بك والياً للبصرة بمكانه ولكن الأستانة اختارت عبد اللّه أغا لولاية بغداد، وهو أحد أصحاب سليمان باشا، وصار عبد اللّه أغا يحاول التخلص من بقية سليمان باشا وولده سعيد بك خوفاً منه على ولايته، ويتحسس سعيد بك فيلتجيء إلى الشيخ حمود الذي أكرم وفادته وتعهد بحمايته، ويزحف عبد اللّه أغا بجيوش كثيرة على الشيخ حمود، وتشب المعركة الضروس ولكن قواد الجيش تذكروا عهد سليمان باشا وراموا أن يحفظوه في ولده، وسرعان ما انحازوا عن عبد اللّه أغا الذي اضطر إلى الهزيمة ويتعقّبه المنتفق فيقبضون عليه ويسجنونه في «سوق الشيوخ» وفي تلك الواقعة يصاب «برغش» ولد الشيخ حمود، ولما مات متأثراً بجراحه يأمر الشيخ حمود بإعدام الوالي عبد اللّه آغا فيعدمه راشد أخو حمود ووالد ناصر باشا، ويطلب الشيخ حمود من الأستانة تنصيب سعيد بك والياً ويساند طلبه كبار الجيش فتنزل الأستانة على رغبتهم، ويتم نصب سعيد بك والياً على العراق والشيخ حمود على البصرة، وامتدت زعامة الشيخ حمود طيلة أربعين عاماً قضى عشرين منها وهو كفبف النصر، وكانت مدة زعامته ملأى بالحوادث والحروب مع جنود السلطان ومع خزاعة ومع طي، وهم بنو لام، ومع ربيعة، ولما انقضى عهد سعيد بك، وجاءت ولاية داود باشا قابلها الشيخ حمود بالاستعلاء والاستهتار فلم يكن مذعناً لأوامر الولاة خصوصاً وأن داود باشا جاء خلفاً لسعيد الذي رفع شأن حمود

إلى أعلى المراقي. وأرسل داود باشا إلى الشيخ حمود أحد رجالات بغداد المدعو إبراهيم بك فتغافل عنه الشيخ حمود ولم يقابله إلا بعد أمدٍ مبدياً عدم الاهتمام بالرسول والمرسل، فعمل داود باشا على إزاحة الشيخ حمود، وأغرى به ابن أخيه الشيخ عقيل حيث أسند إليه مشيخة المنتفق وعززه بالجند فقابلهم الشيخ حمود وأبلى في تلك المعركة البلاء الحسن، وكان يشدّ على القوم وهو أعمى ويقول لأصحابه: وجّهوا فرسي على أكبر مجموعة، وكبا به فرسه فقبض عليه وسلّم إلى العثمانيين الذين جلبوه إلى بغداد، ويأمر داود باشا بإنزاله ضيفاً على إبراهيم بك الذي كان قد تهاون في مقابلته يوم جاءه رسولاً، وبقي الشيخ حمود في بغداد حتى مات ودفن خارج البلد من جانب الكرخ، وقبره اليوم معروف عند الأعراب بقبر الشيخ أو قبر الشيخ حمود.

ع. الشرقي
السيد سليمان فائق
(مؤلف «تاريخ المنتفق» باللغة التركية)
السيد حكمة سليمان
نجل مؤلف الكتاب



السيد سليمان فائق بك



السيد حكمة سليمان ـ نجل مؤلف الكتاب ـ

عشائر المنتفق

مساكن المنتفق:

إن رواد الأخبار ونقلة الآثار، قد اتفقوا على الأخبار الآتية عن أحوال عشائر المنتفق:

فمساكن هذه العشائر الجغرافية كائنة في الجانب الغربي من مدينة البصرة. جامعة لمنافع نهرين عظيمين[1] كنيل مصر. ذات خيراتٍ ومنافع عظيمة، وكانت هذه الأراضي قديماً مراحل ومنازل قبيلة «بني مالك» وقبيلة (الأجود) من قبائل العرب المشهورة[2].

(1) يريد بهما دجلة والفرات.

(2) ليست كل منازل المنتفق هذه الرقعة الصغيرة التي ذكرها الكاتب، إنما هي مواقع واسعة في الطول وفي العرض، برية ونهرية. أما البرية فتكاد تشمل كل بادية العراق من اليمامة إلى البصرة وكانت منازلهم فيها «الشبيبية» و«الميثب» و«البيضاء» و«العقيق» وهو العقيق الأعلى، و«الباطن» وهو اليوم حد من حدود العراق ونجد و«أبو غار». وأما النهرية فكانت تشمل كل شط العرب مصعدة في الفرات إلى ما وراء «السماوة» عند «سدرة الأعاجيب» ومادة في دجلة إلى ما وراء «العمارة» ثم تقلصت من الجهة النهرية حيث اختزلتها الحكومة العثمانية =

سبب تسمية المنتفق بهذا الاسم:

ولما كانت طبيعة أتربة هذه الأراضي كثيرة المنافع لعذوبة مياهها، وجودة هوائها، فقد حصلت بين عشيرتي بني مالك والأجود الرقابة. ثم بتطاول الأمد انقلبت الرقابة عداوةً فحدثت بينهما المشاجرات والمشاحنات، وامتد القتال بينهما كامتداد حرب البسوس، طبقاً للمثل السائر «فقد أزعجت الآساد في غاباتها والطير في أوكارها».

وفي تلك الأثناء **قدم رجل من الحجاز** يدعي السيادة والشرف، فنال منزلةً رفيعة عند العموم. ثم إنه تداخل في الأمر واجتهد بإصلاح ذات البين، وتأليف قلوبهم، وتوحيد كلمتهم، فحصلت له الإجابة والطاعة والانقياد التام من الطرفين، وذلك على شرط أن لا يكون أحد رئيساً عليهم من أمراء ورؤساء

= قطعة قطعة، وأدخلتها في حيازتها النظامية ولم يبق إلا «لواء المنتفق» الذي أقحم فيه مدحت باشا النظام الحضاري. فمن عهد معشوق ابتدأ الاختزال واستمر في عهد نامق باشا ومنيب باشا ثم نامق باشا ثانية ورشيد باشا وهدايت باشا ومدحت باشا، وآخر ما تبقى في الجهة الفراتية فقط وهو «لواء الناصرية» وأول ما تأسس فيه من مراكز الحكومة هو «قضاء العرجة» والعرجة هذه واقعة على الجانب الأيمن للفرات، ثم انتقل القضاء إلى (سوق الشيوخ) وتأسس (قضاء القرنة) ولواء (مركز الناصرية) الذي سمي بـ «المركز» أما الجهة البرية فكانت كما ذكرنا كل بادية العراق بحدودها الحالية محروسة بنفوذ آل سعدون، ومن قبلهم بنفوذ أجدادهم آل شبيب، ويرفرف عليها العلم العراقي المعروف باسم «وارد».

ع. الشرقي

العشيرتين المذكورتين إذ لو انتخب الرئيس من إحدى العشيرتين لمال بسابق الطبيعة إلى تقديم آله وذويه وأقاربه، وآنئذٍ تنفر القبيلة الأخرى، وتتجدد الحروب والضغائن الكامنة في الصدور. فاتفقوا على أن يكون الرئيس عليهم السيد المومى إليه، وجزموا أنه إذا قبل الرئاسة عليهم، ينقادون لجميع أوامره بكمال المحبة والطمأنينة، وبذلك تزول الضغائن من البين.

أما سليمان فائق فإنه أجابهم لما طلبوا، ونجح باتحاد واتفاق هاتين الطائفتين العظيمتين، وكان من أجلّ مآربه ومنويّات ضميره الصعود إلى أريكة الإمارة فوضع اسماً لهما (المتّفق) ليكون تذكاراً له. ثم بإضافة حرف النون سميت عشائر المنتفق وبقي هذا الاسم علماً عليهم حتى اليوم[1].

انحياز المنتفق بجنب الدولة العثمانية:

ثم لما دخلت مدينة بغداد بأسرها في عداد الممالك العثمانية، وذلك باهتمام وإقدام السلطان سليمان القانوني[2] سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أظهرت عشائر المنتفق الطاعة والانقياد لسلطنة آل عثمان، وكان آنئذٍ حاكم مدينة البصرة وأميرها ورئيس أمراء عشائر تلك الأنحاء كافة، راشد بك ولد مغامس.

(1) اقرأ «الملحق الأول» في آخر هذا الكتاب عن سبب هذه التسمية.

(2) عاشر سلاطين آل عثمان، وفي زمانه اكتملت تنظيمات الدولة وقوانينها حتى أن المؤرخين اصطلحوا على تلقيبه بلقب القانوني، وقد امتدت مدة سلطنة «سليمان القانوني» من سنة 1520 إلى سنة 1566 الميلادية.

تسليم مفاتيح البصرة للدولة العثمانية:

وقد جاء في تاريخ النخبة أنه: بعد أربع سنين «أي سنة خمس وأربعين وتسعمائة» سلّم الحاكم المشار إليه راشد مفاتيح قلعة البصرة وسائر القلاع إلى وزير السلطان الملقب بمير محمد، وهذا أيضاً قدمها لأعتاب السلطان سليمان القانوني، وآنئذٍ أصبحت مدينة البصرة التي لا تقل وارداتها عن البلاد الهندية «إن حكمها من هو عالم بإصلاح الأراضي» بعداد الممالك العثمانية[1].

ثم إن رؤساء وأمراء عشائر المنتفق المار ذكرهم، والذين هم من أولاد وأحفاد ذلك الرجل الشريف الذي توفق لاتحادهم، وأصبح رئيساً عليهم، بدأوا بعد زمنٍ يظهرون العداوة والبغضاء للدولة العلية، ويخالفون أوامرها. وبتعبيرٍ آخر أنهم قد جعلوا البغي والعصيان عادةً لهم بعدما كانوا أطوع العشائر للدولة.

استيلاء المنتفق على البصرة:

قد سبق أن أمراء عشائر المنتفق أخذوا بمناوأة الدولة كلما سنحت لهم الفرصة، فكانوا بحكمة الله ينالون العفو والمرحمة من قبل السلطنة في كل عصيانٍ ومخالفة يقومون بها،

---

(1) اقرأ الملحق الثاني في نهاية هذا الكتاب عن كيفية تسليم مفاتيح البصرة للعثمانيين.

ولكن بعد تأديبهم. وفي هذه المرة قد استولوا تمام الاستيلاء على مدينة البصرة في بعض قيامهم المخالف، بعد أن سلموا مفاتيحها سلماً للدولة. ولما كان زمن بغيهم وقيامهم وعصيانهم يصادف وقت انشغال الحكومة السنية بالغوائل والمشاغل الداخلية، مما يجعل الحكومة مجبورة على التغامض والتساهل معهم على معاملاتهم غير المشروعة، بقيت البصرة بأيديهم.

استيلاء أمير الحويزة على البصرة:

ثم بعد استيلائهم على البصرة تغلب عليهم أمير الحويزة، التي كانت من الممالك الإيرانية المجاورة لمدينة البصرة، لما بينهم من الخصومات المتوالية القديمة، وضبط منهم مدينة البصرة وحكمها، وبيّن الحالة لدولته، وقد رأت الدولة الإيرانية العلية أنها إذا ألحقت مدينة البصرة في عداد ممالكها، لا تكون موافقة لسياسة سلطنة آل عثمان. فلأجل أن تكون الرابطة الودية بينهما متمادية قوية، أمرت بتسليم جميع مفاتيح قلعة البصرة لمقام الخلافة العظمى، وبذلك قد استحصلت امتنانها، وأمنت منافعها من غير وجهة.

موقف المنتفق وظهور الدعوة الوهابية:

خلاصة القول على الإجمال: أن دائرة المنتفق لم تخل زمناً من البغي والعصيان والفساد، منذ دخلت مدينة البصرة بعداد الممالك العثمانية إلى أن ظهرت الدعوة الوهابية، وهذه الحالة لم تزعج الولاة والمأمورين المجاورين لمدينة البصرة

فقط، بل أزعجت كافة هيئات الدولة على الإطلاق. ولما حررت هذه الدعوة الحرمين الشريفين، اضطر ولاة بغداد آنئذٍ للتغامض عن أعمال رؤساء عشائر المنتفق، لكي يوسعوا ويزيدوا قواهم فيتمكنوا من إخماد الدعوة الوهابية، حيث كانت دائرة المنتفق وسط قطعة نجد التي هي منبع الوهابية، وعلى هذا فقد استفاد المشايخ المومى إليهم من هذه الحالة، وتطاولت أيديهم على القرى المجاورة لهم، ونهبوها، وغصبوا أموالها، حتى دخلت بحوزة تصرفاتهم أماكن كثيرة. ولما تفاقم الخطر في البلاد العثمانية، انتهز الفرصة قبل فواتها الغازي السلطان محمود خان[1] وحاول بالقوة كسر نفوذ هذه الدعوة التي أخذت بالاتساع وبدأت تهدد مصالحهم.

قيام الشيخ ناصر زمن سليمان باشا الصغير:

ولما ظهر الاختلال الكبير ببغداد زمن ولاية سليمان باشا الصغير (كوچك) أعلن أيضاً الشيخ ناصر[2] عصيانه على الدولة رسمياً، وباشر بقطع الطرق، فجاء لتأديبه أحد كبار الدولة العلية حالت محمد سعيد أفندي، ولما وصل دار السلام وتوفق بعد حرب عنيف، طلب من الباب العالي تعيين سعيد بك مخدوم سليمان باشا الكبير المشهور عند الكبار والصغار بتعمير

(1) يريد به «السلطان محمود الثاني» الذي حكم من سنة 1808 إلى سنة 1839.

(2) أظنه يريد ناصر آل راشد وهو ابن أخ حمود الثامر.

البلدان فلم يسعف طلبه، بل تعين والياً على بغداد عبد اللّه أغا الذي هو أحد عتقاء سليمان باشا الكبير.

ولاية عبد اللّه باشا:

كان عبد اللّه باشا يعتبر سعيد بك رقيباً له، ولذلك كان يتحذر منه، وكذا سعيد بك كان ينفر منه حيث إنه من عتقاء أبيه. وبالنهاية ظهرت المنافرة بينهما علناً فقرَّ قرار عبد اللّه باشا وأعوانه على إعدام سعيد بك المسكين وهو بريء غافل غير أن أراجيف معاون الوالي طاهر أغا وسائر أركان معيته في الولاية حسنوا لعبد الله باشا تلك النية السيئة.

هروب سعيد بك إلى المنتفق:

«**كل سرٍّ جاوز الاثنين شاع**» نظراً لهذه القاعدة الكلية شاع الخبر وذاع، فاستخبر سعيد بك بما نواه عبد اللّه باشا، فقرّ قراره على أن يفرّ خفيةً وليقع دخيلاً عند متفق والده وصاحب أبيه الخاص شيخ دائرة المنتفق على الإطلاق الأمير نفسه[1]، وذهب توّاً إليه فأكرمه وأعزّه غاية الإعزاز والإكرام حسب عادة العرب النجباء مع الضيوف، ولما علم عبد اللّه باشا بالخبر

---

(1) يريد به حمود الثامر كما في (مطالع السعود) للشيخ عثمان بن سند، و(أربعة قرون من تاريخ العراق) للونكريك وغيرهما وقد صححنا هذا الاسم الذي جاء مغلوطاً «حمود الناصر» في عدة مواضع من الكتاب ليستقيم المعنى والشيخ حمود الثامر بطل آل سعدون.

أصبح منفعلاً متغيظاً ومتكدراً بل ومتأثراً من وجود سعيد بك عند حمود الثامر مع أنه كان في ذلك الوقت ذا سيطرةٍ وقوة واقتدار عظيم وفي الحال كتب كتاباً إلى حمود الثامر يأمره بتسليم الدخيل.

حمود الثامر وعبد اللَّه باشا:

وكان حمود الثامر متعهداً ومتكفلاً للحكومة أن لا تظهر من عشائره أدنى مخالفة وعصيان على الحكومة، ولكن لما كانت عادة سائر العربان يأبون تسليم الدخيل وإن كانوا لا يعرفونه، فكيف والدخيل هو ابن سيده ومتفقه؟ وكان هو من أكابر سادات وأشراف العرب، وإذا سلمه يكون ذلك عاراً عليه وعلى عائلاته؟ فعرض مراراً لعبد الله باشا أن لا يكلفه بشيء يوجب على عشيرته العار والشنار.

أما عبد اللَّه باشا فإنه وافق على فكر حمود الثامر أولاً، وأراد أن ينفذ أمره بذلك، لكن معاونه طاهر أغا لم يوافق وبين له محاذير متعددة، وعليه أصدر أوامره اللازمة بتسليمه مغلول اليدين وإذا لم يسلمه يعدّ حمود ناقضاً للعهود.

موقف حمود الثامر:

أما حمود الثامر فإنه حينما وصل الأمر القائل بتسليم سعيد بك إليه، انشغل باله، وتشتتت أفكاره وفي الحال عقد مجلساً كبيراً يحتوي على الأمراء والرؤساء وعشائر آحاد

العربان، وباشر يقرأ عليهم الأمر الوارد من قبل الولاية. وكان الأمر محرراً باللغة العربية، وبعد أن ختم قراءة الكتاب نهض حمود الثامر بذاته وألقى خطبة بليغة على الحضار وهذا مآلها:

خطاب حمود الثامر:

«أيها الأمراء والرؤساء والمشايخ!

«أخاطبكم اليوم لعلمي أنكم أنتم الممثلون للعرب، وأني أعلم أيضاً «أنه» قد تجسمت فيكم الشهامة والغيرة الحميرية وبما أنتم أمراء ورؤساء القبائل، أخاطبكم بخطاب يليق بكم فليكن معلومكم أيها الأجلاء العظام والسادة الكرام أن دخيلنا سعيد بك لما علم أن حياته بخطرٍ، وأن الداعي كنت المتفق الخاص لوالده، التجأ إلينا كي يتمكن من المحافظة على حياته المهددة بالخطر، ووقع دخيلاً عندنا، وها هو هذا تعرفونه وتعرفون أباه وتعرفون منزلة أبيه وهو من ذوي البيوت لا من العتقاء والسوقة وإني قد تعهدت وتكفلت بحمايته حماية مطلقة، وإن الدخيل عندي ولم تظهر له أدنى مظاهرة تشغل الحكومة بل ولا يتحرك بحركةٍ مخالفة لرضاء الدولة، وكررت هذه الكيفية للولاية مراراً فلم تفد جميع مراجعاتي واسترحاماتي. ولذا لم يبق للحكومة حق إن خالفتها وعصيتها لأني قد اخترت جواب السلب، وأمرتنا الولاية بهذا الأمر الذي قرأته عليكم بتسليم الدخيل فإن لم نسلمه تأخذه الحكومة من عندنا قسراً بقوة السلاح وهذا تهديدهم كما سمعتموه.

«وقد حاكمت» نفسي مراراً بكيفية تسليم الدخيل فأبت نفسي وشيمتي العربية تسليم الدخيل كتسليم الشاة إلى القصاب، وجزمت وعزمت على أن أقاوم وأدافع الحكومة بكل مجهودي وقوتي لآخر نفسي، فإن عجزت عن المقاومة أكون مجبوراً على ترك أولادي وعيالي وأخذ دخيلي وأهرب به إلى الديار النجدية حفظاً لناموسي وشرفي، فمن كان منكم يكره هذه الحالة فليعتزل إلى جنب، واعتقدوا أني لا أجبر ولا أكره أحداً على أن يكون معي. فكل منكم مختار برأيه حيث إن هذه المسألة هي خاصة بنفسي وعائدة عليّ، ولا شك أن هذا هو ناموسي وشرفي ولا أقبل أن يدنّس وأن يكون فيه عار. وتسليم الدخيل هو أكبر عارٍ علينا، ولهذا لا بدّ لي أن أهرق آخر قطرة من دمي للمحافظة على الناموس.

«واعلموا جميعاً أني لا أكلّف أحداً منكم بتكليف لا يطيقه».

إلى آخر ما قال من الكلمات الحماسية. فتوصل لاكتشاف ما في ضمائرهم فأجابه الحضّار كافة بلسان واحد قائلين! ألم نكن نحن مثلك عرب ومن العرب؟ أما نحن الذين قبلناك رئيساً علينا لعلمنا أنك الرجل الوحيد بل الشريف الغيور الفريد المتّصف بهذه الديار. فكما أن شيمتك العربية تأبى تسليم الدخيل، فشيمتنا وغيرتنا العربية تأبى أيضاً أن نعتزل عنك بمثل هذا اليوم الأسود، وكيف تقبل شيمتنا الاعتزال عنك؟ فلا نبقيك أنت ودخيلك ما دام فينا دم الحياة، وها نحن

حاضرون نقدم أنفسنا وأرواحنا وما لنا في سبيل تخليص دخيلك ولو كان من آحاد الناس كيف وهو ولد سليمان باشا الذي أعلى شأننا واعتبارنا؟ والله يا رئيسنا اعلم جيداً أننا لنقدم كل غالٍ ورخيص، ونتبعك بكل ما تأمرنا به فلتطمئن نفسك الزكية، واعتقد أننا تابعوك لكل خطب وباتباعنا لك نجد النجاة والنصر والظفر النهائي.

ولما وصل الخبر (عن) إعلان العصيان من قبل عشائر المنتفق إلى بغداد، اعتقد عبد اللَّه باشا أنه لا يمكنه أخذ سعيد بك كما يروم بسهولة، ولهذا أمر بتجهيز فيلق من الجنود المعلّمة (المدرّبة) وتمكن من جمع ما يتجاوز ثلاثين ألفاً من الجنود، وأكمل مهماتهم وسيّرهم، ومعهم أضخم المدافع فتوجّهوا عن طريق الحلّة والسماوة[1].

انحياز الجيش بجنب سعيد بك:

لكنه اتكل على القوّة الداخلية كاتكال الولاة السابقة، ولم يعلم أن بين هذه الجنود ما يتجاوز ستمائة أو سبعمائة نسمة من الأغوات الجسورين المعتبرين، وكلّهم من خدم سليمان باشا الكبير، ولم يقبلوا قتل ابن أميرهم فبدأوا بالفرار إلى طرف سعيد بك كل ليلة خمسة وسبعة مع أجهزتهم.

---

(1) في ص 11 من المجلد الأول من كتاب «مباحث عراقية» للمرحوم الأستاذ الكبير يعقوب سركيس:
«وكان طلوعه من بغداد في شهر شوال سنة 1227 هـ. (1812 م) على الحلة وصار مسيره بالشامية» أي على شاطىء الفرات الأيمن.

وقد نصح الأمراء الذين يحبون المسالمة عبد اللّه باشا قائلين له: إن هذه الجنود التي جهزتها أكثر أمرائها وضباطها من حشم سليمان باشا، ولا يسعهم محاربة ابن سيدهم وأميرهم، ولا تفشل بهذه الحركة. ولكن «إذا جاء القدر عمي البصر» لم يسمع النصح وقد صمّت أذناه عما قالوا له فأوقعه الله في هوة المهالك والخطر[1].

مذاكرة الجيش في هذه المسألة:

ولما كان في هذا الفيلق الجديد أناس كثيرون هم من عتقاء المرحوم سليمان باشا، أبت نفوسهم الزكية أن يحاربوا ابن من تربّوا بنعمة أبيه، وقال بعضهم لبعض: هل يليق بنا أن نحارب العرب سكنة الصحارى والبوادي وهم يفدونه بأرواحهم لكونه نزيلاً عندهم ونحن تربّينا بنعمته ثم نعود نحاربه ونقتله؟ إن هذا لشيء مناف للإنسانية، ولا يقتحم على هذا العمل إلا من كان من غير صلب أبيه. فلأجل أن نكون مثالاً للعالم بأسره يجب علينا أن نسلّ سيوفنا لاستخلاص روح ابن سيّدنا وأميرنا.

إنفاذ التصميم الأخير:

ولما تجمعت الجموع بمحلّ يقال له (غليوين) وصفّوا

---

(1) «وفي اليوم الثاني من شهر صفر سنة 1228 نهار الأربعاء تقدم الوزير بعساكره الوافرة وتقدم حمود بجنوده.. ولم يعلم الوزير أن العسكر جميعهم خائنون عليه... فولوا ناكسين».

الجنود نظام الحرب وشكّلوا القلب والجناحين، ورتّبوا فرق الكشافة وعينوا جنود الاحتياط والتقى الجمعان وثار ثائر الحماس فعند أول مرمى خرج من فم المدفع قبل أن يصل هديره لأسماع المتحاربين انفصل قسم كبير من الفيلق وقدره ما يتجاوز الألفين من الأسود ودقّت طبولهم، ورفعوا أعلامهم، وتوجّهوا بكمال الترنّم والإنشاد نحو طرف سعيد بك، وعلى هذا بطلت الحرب بتاتاً، والقسم المتبقي حينما شاهدوا عزلة أمرائهم أعلنوا مخالفتهم حالاً، واقتدوا بأثر رؤسائهم والتحقوا بهم أيضاً، وبقي في الميدان الباشا المومى إليه مع خدمه الخاص ومعاونه طاهر أغا مع قسم قليل من الجنود الاحتياط. والجنود الاحتياطية أيضاً لما شاهدوا حالة قائدهم وخوفه وذهاب الرؤساء إلى ذلك الطرف اعتزلوا القائد وتبعوا من هرب كتيبة بعد كتيبة.

استقبال سعيد بك للجيش:

أما سعيد بك فإنه كان يستقبل وفود الجنود ويرحّب «بهم» بكل لطفٍ وبشاشة، وبناءً على حسن أعمالهم ووفائهم زيدت أضعاف منّته منهم، واتفقت جميع رؤساء القبائل وأمراء الجنود، واتحدوا جميعاً على أن يكون الوالي العام على الخطة العراقية سعيد بك المشار إليه وأخذ زمام الأمور بكف كفايته.

هروب عبد اللّه باشا وإعدامه:

فلما رأى عبد اللّه باشا هذه الحالة التعيسة، ووهىٰ عزمه

وخارت قوته، وفرّ هارباً مع خدمه نحو مدينة بغداد، وعقّبهم كل التعقيب حمود الثامر رئيس قبيلة دائرة المنتفق على الإطلاق، فقبض عليهم وجاء بهم إلى الفيلق فسجنوهم وأعطوا المعلومات اللازمة إلى الباب العالي وأخبروهم بكيفية الواقعة مفصلاً، وطلب سعيد بك توقيف الجناة عنده ورأى أنّ بقاءهم في الحياة موجب لبقاء حياته في الخطر، وعليه قرّ رأي العموم على إعدامهم فأعدموهم حالاً وهم عبد اللّه باشا ومعاونه طاهر أغا.

توجه سعيد بك إلى بغداد:

وعند الختام توجه سعيد بك إلى بغداد، وأخذ جميع أدوات الحرب والمهمات اللازمة، وسحب الفيلق الجرار، إلى مدينة السلام، وأمّن راحة الأهلين وأعطى المعلومات إلى الباب العالي، واستتب الأمن والراحة في جميع الأطراف، وصدق الباب العالي ولايته على مدينة البصرة وبغداد وكركوك (شهر زور)[1].

---

(1) قال ابن حوقل: شهرزور مدينة حصينة عليها سور يسكنها الأكراد. ووصفها الرحالة ابن المهلهل: شهرزور مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها في وقتنا هذا يقال لها نيم راه عند الفرس ومعناه منزل نصف الطريق لأنها تقوم في نصف الطريق بين المدائن (طيسفون) وشيز، وتقع أراضيها اليوم في لواء السليمانية.
ليسترنج: بلدان الخلافة العباسية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص 225 ـ 226.

اعتلاء كلمة المنتفق:

وبناء على هذه الوقعة الكبيرة نالت **عشائر المنتفق الشهرة العظيمة، وانتشر خبر حمود الثامر في كل الأطراف، وهابته العشائر، وقد لقّبته بسلطان البرّ. وبدأوا يسمونه سلطان حمود الثامر.**

إحالة المدن إلى حمود الثامر:

والممالك التي هي من مضافات مدينة البصرة التي لم تكن في حوزة العثمانيين أعطى سعيد بك أوامر عامة بإمضائه وألحقها إلى حمود الثامر، وكذلك جميع ملحقات البصرة وقلعة القرنة التي كانت عائدة للحكومة فإنها دخلت في حوزة رؤساء المنتفق أيضاً ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

ولاية داود باشا:

وخلاصة الكلام دام هذا الحال بهاتيك الحوالي مدة مديدة حتى وصلت إلى درجة بحيث بدأ حمود الثامر لا يعطي الأهمية للولاة وسائر الأمراء. ثم لما جاء داود باشا خلفاً لسعيد باشا أرسل إلى حمود أحد أعاظم رجال بغداد ومن أشرافها الكبار إبراهيم بك آل عبد الجليل لمصلحة هامة، وبعد وصوله إلى المنتفق لم يقبله حمود لمواجهته إلاّ بعد مرور شهر وما ذلك إلا تحقيراً لداود باشا.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 140.

القبض على حمود الثامر:

أما داود باشا فإنه بعد أن أتم عمله وتوفّق بنجاح عظيم في حروب إيران، ووضع أمهات المصالح تجري بمجاريها وفقاً للنظامات جلب لطرفه عجيل السعدون ابن أخ حمود الثامر المار ذكره ببعض الوسائط الخفية وجعله مأموراً على مشيخة المنتفق وأرسل بمعيته شرذمة قليلة من الجنود. وحينما وصلوا قرب المنتفق، التقت الجنود وتهاجم الفريقان واشتد القتال بينهما سويعات من النهار فتغلب الجنود على حمود وآله وأعوانه المارقين حتى أسروا حمود وجاؤوا به إلى بغداد مخفوراً.

ثم أمر الوالي داود باشا بإنزاله ضيفاً عند إبراهيم بك الذي لم يقبله[1] لمواجهته إلا بعد شهر، وهذا لم يحصل منه أدنى قصور وفتور بخدمته وحرمته إلا أن «الجزاء من جنس العمل» حيث لم يقبله لملاقاته ومواجهته ولو مرة واحدة إلى يوم وفاته.

عزل داود باشا وقيام العشائر:

ولما خذل حمود الثامر كما شرحنا، وعزل عن المشيخة، حصلت الواردات بضمائم كثيرة، وشوهد نفوذ سلطة الحكومة

---

(1) يريد به رسول داود باشا إلى شيخ المنتفق وهو إبراهيم بك آل عبد الجليل.

هناك لكنه قبل أن يتم الانتظام ويستتب الأمن المقصود، جاء الأمر القاضي بعزل داود باشا من ولاية بغداد، وانفصل عن منصّة الحكم وانقرض أوجاغ (أي الأسرة) المماليك، وتبدلت إدارة الحكومة وعادت الأحوال السابقة في دائرة المنتفق وازداد طغيان العشائر وعصيانها أضعافاً مضاعفة حتى إن أقلّ العشائر قوة أعلنت العصيان وخالفت الأوامر بعد أن كانت صادقة مطيعة، وأصبح انضباطهم من الأمور المستحيلة، وصار الحكم لمن غلب بين العشائر والقويّ يأكل الضعيف حيث لا رادع لهم ولا آمر، ودامت الفوضى بين العشائر العراقية ودوائر المنتفق قائمة على قدم وساق إلى تاريخ سبعين ومائتين وألف.

ولاية رشيد باشا:

وبعده عين خلفاً لداود باشا رشيد باشا المشهور بالكوزلكلي[1] «صاحب النظّارات» وفي أثناء ولايته في بغداد

(1) المعروف تاريخياً أن الذي خلف داود باشا في بغداد هو علي رضا باشا اللاّز الذي أرسلته الحكومة العثمانية ليقضي على حكومة داود باشا وعلى داود نفسه إلا أنه فضل إرسال داود باشا إلى الأستانة وأوصى به خيراً بعد أن قضى على حكومته وأعوانه قضاء مبرما، وقد جاء في ص 128 ـ 129 من حولية «سالنامة» بغداد التركية الخامسة عشرة الصادرة في عام 1317 ثبت بأسماء ولاة بغداد ننشر منه ما يهم موضوعنا:

اسم الوالي	سنة مجيئه	مدة ولايته
داود باشا	1232	14 سنة
لاز علي رضا باشا	1246	16 سنة

=

وكثرة اختلاطه مع رؤساء العشائر وسائر رؤساء العربان، أحاط علماً كافياً بالأحوال السابقة والحاضرة واللاحقة، وعليه قام وجعل من أهم وظائفه تخليص الرعايا من أيادي المتغلبة الظالمة، وبها يمكنه حصر الواردات الأميرية للحكومة بعد أن كان المتغلبة يأخذونها لهم، ولم يعطوا منها قرشاً واحداً للحكومة. فاستناداً على القوة العسكرية التي شكلها وجمعها لهذا الغرض لا غير، توجه نحو العشائر، وضربهم الضربة القاضية وأجبرهم على الخضوع للدولة قهراً. وهكذا أدّب المتغلبين حتى نال مقصده المطلوب من التأديب، فازدادت سلطة وشوكة الحكومة بين كافة قبائل العرب. وبينما هو فرح

= محمد نجيب باشا	1258	6 سنوات
عبد الكريم نادر باشا	1264	سنة وستة أشهر
وجيهي باشا	1266	عشرة أشهر و 21 يوماً
محمد نامق باشا	1267	تسعة أشهر وخمسة أيام
كوزلكلي محمد رشيد باشا .	1268	خمس سنوات و 17 يوماً
سردار أكرم عمر باشا	1273	سنة وأربعة أشهر
سركاتبي مصطفىٰ نوري باشا	1275	سنة وأربعة أشهر
أحمد توفيق باشا	1277	ستة أشهر و 22 يوماً
محمد نامق باشا (ثانية)	1277	سبع سنوات ونصف السنة
تقي الدين باشا	1284	سنة واحدة
مدحت باشا	1285	ثلاث سنوات و 21 يوماً

ولا يبعد أن يكون صاحب الكتاب أراد أن يقول «ولما جاء عهد رشيد باشا الكوزلكلي» فزل به القلم وأثبت ما هو مدون هنا. أو أن يكون المعرب أساء فهم المؤلف فكتب ما هو مثبت والله أعلم.

بهذا الظفر الأبدي، وشاع اسمه وذاعت شهرته، تمرّض بمرض الخناق (وهو التهاب الحنجرة من البلعوم) وبدأ الأطباء بمعالجته فسقوه علاجاً خطأً منهم وانتقل إلى رحمة ربه الغفور بتأثير الدواء ـ رحمة الله تعالى عليه ـ قبل أن يتهنّأ بظفره.

خلاصة أعمال رشيد باشا:

رأينا من الأمور اللازمة أيضاً إيضاح وتفسير الوقائع التي حصلت زمن ولاية المشار إليه (رشيد باشا).

إن هذا الوالي الكبير المقدام أول ما باشر بوظيفته الموْدوعة له، فتّش وفحص أحوال الولاية جيداً، وفي تلك الأثناء كان كيلو الشعير يباع في پارتين، وكيلو الحنطة في خمس پارات[1] في قضاء الحلة التابع لولاية بغداد، وكانت في مدينة البصرة تباع قية (أوقية) الشعير بأربعين پارة، وقيّة (أوقية) الحنطة بثمانين پارة بل ولا تقع في اليد بهذه الفئات. وسبب ذلك أن رؤساء عشائر دائرة المنتفق لما أحدثوا بأراضيهم أخذ رسومات الكمرك من الحبوب التي تمر بأرضهم ولا يمكن نقل الذخائر إلى البصرة بواسطة نهر الدجلة (كذا) والفرات حيث انقطعت عن البصرة الحبوبات العراقية لأحداث هذه الرسوم، وكانت الحبوبات التي تجلب من بلاد إيران والهند تستهلك

(1) الپاره عملة تركية هي 1 من 40 من الغرش الصاغ (الصحيح) والليرة العثمانية تساوي مئة غرش صاغ فتكون الليرة أربعة آلاف پارة.

فيها، ولهذا ارتفعت أسعار الحبوب إلى ذلك الحد، وأحاط علماً بأمر عصيان العشائر وبغيهم وفسادهم فجهّز عليهم جيشاً عرمرماً، وزحف لتأديبهم، واحتل قضاء السماوة، وأدّب عشائرها الساكنة هناك وسائر أفراد العربان فأظهر سطوته القاهرة فهابته العربان وخضعت لجميع أوامره.

ثم توجه بجنده مع العشائر نحو المنتفق، وخذل ناصراً وأعوانه أخو منصور شيخ المنتفق وأذلّ المتمردين وأخضعهم لاتباع قوانينه قهراً بعد أن كان يحارب الجنود الشاهانية التي كلما ذهبت لتأديبه سبّب شهادة الألوف من الجنود فلأجل ذلك استكبر استكباراً وكان لا يعطي أدنى أهمية للحكومة غروراً وعناداً منه. ولما تغلّب عليه الوزير المشار إليه أخذ رؤساءهم وأمراءهم أسراء، وضبط بلادهم، ونهب أموالهم ومواشيهم وتوفق للغو الرسوم التي أحدثوها، وأصبحت حينئذٍ مناقلات الأنهر المار ذكرها تجري بكمال الطلاقة والحرية. وصغّر نفوذ المشيخة المذكورة وحدّدها على شروط، وضبط أغلب الأماكن من يد المتغلبة فأشرقت شمس سلطة الحكومة على كافة أنحاء العراق إلا أنه ـ ويا للأسف ـ اختطفته يد المنون قبل تكميل ما نواه في ضميره السالم رحمه الله.

ثم تعيّن بمحله والياً على بغداد عمر باشا السردار الأكرم.

تعيين السردار الأكرم عمر باشا والياً على بغداد:

بعد وفاة رشيد باشا تعين بمحلّه والياً على بغداد عمر باشا السردار الأكرم فإنه اغترّ بقوته وبسلطة الحكومة القاهرة فسلك خلاف مسلك سلفه. فقد سحب الجنود من قصبة «سوق الشيوخ» لأمور مستورة وخفيت عنا زاعماً أن هواءها وماءها لا يوافق (كذا) أمزجة الجنود، ويمكنه تأديب عشائر المنتفق بطابور وطابورين عند ظهور تمردهم وعصيانهم فيؤدبهم بقوة قليلة. وهذا الرأي مخالف لأفكار سلفه كل المخالفة. وبعد انسحاب الجند من تلك الأنحاء عاد نفوذ وتسلّط العشائر على هاتيك البقاع بعد أن ضبطت بتدابير دفتر دار ولاية بغداد مخلص أفندي زمن رشيد بك فتدابيره الماهرة، وحركاته الصادقة، أجبرتهم على أداء الرسوم الأميرية ولكن ما الفائدة فقد عكس الأمر بزمن ولاية عمر باشا بعد انسحابه عنهم.

وأما بحث وخامة الهواء الذي استدل به عمر باشا فإنه صنعي لا طبيعي. وسببه: أن شيوخ المنتفق فتحوا الجداول الكائنة بجوار قراهم وقصباتهم، وجعلوا مياهها تجري على الأراضي وأحاطت بالأطراف فعلوا ذلك عن قصد منهم وبذلك حدثت التعفنات الكثيرة المتولدة من هذه المياه الراكدة فأحدثت سبباً عرضياً مع أنه كان أسهل واسطة لدفعها سد أفواه هذه الأنهر والجداول، ولم تبق هذه الأمور إلاّ أياماً قلائل.

أحمد توفيق باشا:

ولما جاء والي ديار بكر أحمد توفيق باشا والياً على بغداد ضبط أبا الخصيب وغيرها من الأقضية وضرب عشيرة بني مالك ضربة قاضية وكسر شوكتهم ومهابتهم.

محمد نامق باشا ولغو المشيخة:

ثم جاء والياً على بغداد محمد نامق باشا للدفعة الثانية عند ختام التزام المشيخة (ف) جلب إلى عنده كبار المشيخة وأحفاد الشيوخ وتشبّث بفصل بعض الأماكن منهم كما تصوّر ذلك رشيد باشا المرحوم من قبل، وقد تعهد منصور بك أحد أعضاء المجلس الكبير في بغداد وقال: لا حاجة إلى القوّة فأنا أتعهد وأضمن بإدخال دائرة المنتفق كلّها بعداد الممالك العثمانية وأسعى غاية السعي على تطبيق قوانين الحكومة العادلة فيها كما تدار شؤون الولايات إن نصبتموني قائم مقاماً عليها، فلما رأى نامق باشا إصابة فكره حيث تحقن الدماء، وتزول الغوائل من البين، وأنَّ بلغو أصول المشيخة الأمر الخيري لصالح الحكومة والأمة، أعلن لغو المشيخة ونصبه قائم مقاماً في بادىء الأمر إلا أن المير المومى إليه لما لم يكن له وقوف على اللغة التركية، ولا عنده علم بأصول الإدارة وأحوال مجريات السياسة، ولو أنه كان مطلعاً على أحوال العشائر وله دراية ورويّة كاملة، ولصغر سنّه لا يمكن تعيينه قائم مقاماً حالاً لكنه رأى من المناسب أن يعينه محاسباً ومعاوناً لقائم مقام

ينصب هناك فتعين قائم مقاماً أحد أشراف بغداد سليمان فائق بك الذي كان قائم مقاماً في خانقين، وعين المير المذكور بمعيته ومعاوناً له، ومستشاراً بصفة محاسب، غير أن منصور بك كان يعرف نفسه أنه هو القائم مقام، ولما باشر بوظيفة القائم مقام المومى إليه قامت قيامة أخيه ناصر الموصوف بالبغي والفساد، وبدأ يعلن ويخابر دوائر الحكومة بأكاذيب ومفترياتٍ عجيبة ومتنوعة، وأظهر للعشائر أضرار القائم مقامية، وقال إنها ضرر كبير لصالحهم حالاً ومستقبلاً، وحرك أغلب العشائر وهيّجهم، وقتل وأعدم البعض من غلمان المحاسب المومى إليه سليمان فائق بك وجمع جميع أقاربه ومن ينتمي إليه لأجل المشورة معهم وقال: لا تعتبروا المحاسب المار ذكره من آحاد الأروام حسب زعمهم هم الأتراك، وأبناء بغداد يتكلمون باللغة التركية من موظفي الحكومة بل هو من أكابر أولاد المماليك وله تعلّقات كثيرة في مدينة بغداد، ولا يمكننا قياسه بسائر الأروام حتى نقتله، فإذا فعلنا ذلك تقوم علينا القيامة ويتجسّم جرمنا وذنبنا بنظر الحكومة حيث إن لأقاربه استطاعة كبرى على تشجيع وترغيب ولاة بغداد لأخذ الثأر والانتقام منا، وما عدا ذلك فمن أغلب الاحتمالات حدوث الاختلافات والتفرقة بيننا وحينئذٍ تتبرأ من قتله هذه الطوائف المخالفة وتقول إن قتلة فلان القبيلة الفلانية المنسوبة للفرقة الفلانية ويصبح موقعنا من أحرج المواقع.

ولكن محبو (كذا) السفك وخدّام البغي والفتن حسّنوا

جواباً لهذا الرأي، وأن وقوعه بعيد الاحتمال، وإذا فعلنا ما نتصوّره تهيبنا الحكومة وتخاف من اتّساع سطوتنا فقرّ قرارهم أن يفرقوا بين المحاسب وولده وغلمانه وسائر المأمورين والمستخدمين بالمقارعة، ويوزعوهم على الطوائف الموجودة، وكل طائفةٍ تقتل وتعدم الذين يكون قتلهم على أيديهم.

وكان هذا القرار قد تقرر بدار ندوة الأمير ناصر، ولما اتفق رأيهم على هذه الفكرة وأبلغوا منصور بك بذلك رأى منصور بك في نفسه أن المحاسب نزيله وضيفه فعظم عليه تسليمه للذبح. وأساساً كانت هذه الفكرة تخلّ بشرفه وحيثيّته وناموسه، لأن من قواعد العرب «أنها» لا تسلّم النزيل إلى أعدائه ولو هلك وهلكت كافة طائفته، وعلى الخصوص كان منصور يعرف المحاسب حقّ المعرفة، وله صداقة ومحبة معه، فأبلغهم قائلاً: إني إن لم أقتل مع المحاسب أنا وسائر أولادي وأقاربي وحاشيتي لا أسلّم ضيفي لكم لتقتلوه، وهذا الجواب قطعي لا أتخلف عنه أبداً فليكن معلومكم أيها الظلمة.

فلما اطلعوا على جواب منصور بك علموا أن في قتلهم هذا يتهيّج عليهم منصور بك ولا بدّ أن يحاربهم فيكون الأمر أعظم، وعليه فقد كفوا عن فكرتهم المتصوّرة، ولم يقع شيء لكنهم لم يرضوا بتحويل المشيخة إلى قائم مقامية، وأعلنوا عصيانهم في أكثر الأطراف، وتمردوا عن الطريق السويّ، وبدأوا يقطعون الطرق، وينهبون الأموال والمواشي، حتى أنهم

غصبوا ونهبوا جميع الذخائر التي كانت من مرتبات الحجاز، ولم يقنعوا بذلك، بل إنهم تجاوزوا إلى أعظم ذنب قد اقترفوه وخرّبوا الخطوط التلغرافية الممدودة بين لواء الحلة وبغداد، وما قصدهم من ذلك إلا ليكبروا مقدرتهم في نظر الحكومة ويرهبوها حسب زعمهم وقد أهانوا المحاسب ومن «معه» وحقّروهم.

انعقاد المجلس الكبير في بغداد بشأن المنتفق:

ولما ظهر عصيانهم، وتعددت جرائمهم التي اقترفوها، وتكاثرت الشكايات عليهم، وعطلوا أمور الحكومة وأزعجوا أركان هيأة الدولة شكل نامق باشا مجلساً كبيراً تحت رئاسته في بغداد وكان أعضاء المجلس مختلطين من الأمراء الملكية والعسكرية لإطفاء هذه الطائفة الباغية وقلعها من أساسها، وكانوا يتذاكرون على مقدار العساكر التي يرسلونها ومن أي جهةٍ يلزم سوقها حتى تتمكن جيداً من تأديبهم ومحوهم. وبينما هم يتذاكرون إذ وردهم الأمر القطعي من قبل نظارة الحربية بجعل قوة الفيلق السادس على أهبة السفر عموماً مع انتظار الأمر الأخير من غير إفاتة وقت ما وعلى هذا انفسخ المجلس وقراره، وأمر الوالي بتهيئة الفيلق إلى السفر، وأعلن النفير وتهيأ مع أكمل العدّة بمدة قليلة وبقي ينتظر الأمر الأخير.

جلب سليمان بك إلى بغداد:

وفي تلك الأثناء أبان للحكومة أمين أفندي كاتب العربية

الذي كان يرى وظيفة كتابة العربية عند المشايخ والرؤساء، وبوظيفة (قبو كتخدالغي)[1] أن جميع العربان وسائر الطوائف قد تعاهدوا فيما بينهم على أن لا يقتربوا من الحكومة ولا يأمنوا منها، فحصل سكون عند المجلس، وبعد تفكيرٍ قليل رأوا أن يجلبوا سليمان فائق بك المحاسب المار الذكر، وبواسطته يمكنهم جلب ناصر إلى بغداد، وعليه قرّ قرارهم وعيّنوه مأموراً لهذه المسألة الهامة.

وقد توفّق سليمان فائق بك لجلب الأمير ناصر إلى بغداد بعد إعطائه العهود والمواثيق لئلا تغدر الحكومة بحياته، ولما حضر أمام الوالي، كلّفوه بأن يلتزم دائرة المنتفق من حيث الإيراد لكي يوجّهوا له المشيخة، فقبل على شرط أن يترك له محلّين من الأماكن، ويضم ألف كيس على التزامها السابق (وبالكيسة هي ما ساوت خمسمائة قرش خالصة وتسمية العرب ريّح بالك، أو أبو خمس ليرات) وأعطوه المشيخة وقرّ قرارهم على هذه الصورة. إلا أن الحكومة ليس لها أمنية (ثقة) ولا اعتماد عليه لحركاته وأطواره السابقة، لكن بدلالة سليمان فائق

(1) أصل كلمة كتخدا فارسية مركبة من (كت ـ دار) و (خدا ـ رب) فيكون المعنى (رب الدار) أو ما يسمى عند العرب (القهرمان) وهي وظيفة كانت مشهورة في العهد العثماني وتطلق بشكل مجازي على مساعدي كبار رجال الدولة كالصدر الأعظم والولاة وكانت العادة أن يصطحب كل والٍ «كتخدا» له وأصبحت لهذه الكلمة مشتقات ككتخدا الحرم حيث تكون الوظيفة شخصية لا رسمية تنتهي بانتهاء ولاية الحاكم.

بك قد جلب إلى بغداد ورأوا أن التزامه المشية كان أمراً طبيعياً لا بدّ منه فلأجل أن يستفيد من فكر الحكومة الآتي اتفقوا رعايةً للاحتياط خفيةً مع فهد، وأبعدوا سليمان فائق بك بصفته محاسب إلى البصرة وفهّموا منصور بك أنه لكونه لا يترك بعض الأماكن ولا يتعهد بضم البدلات اللازمة للتأدية، رجّحوا إحالة المشيخة إلى فهد بك. ثم بدأ ظهور الاختلافات وعلائم العصيان من قبل أتباع ناصر ومنصور، وقد هجموا على بعض القرىٰ واختلت الأمنية.

طلب فهد بك للقوة:

وقد استمدّ الشيخ المومى إليه من الحكومة أن يمدّوه ويقوّوه ويعضدوه قبل أن يتفاقم الأمر ويعظم الخطب فأجابت طلبه الحكومة حالاً وأرسلت له طابوراً[1] عسكراً من المشاة من موقع العمارة مع مدفعين من المدافع الصغيرة التي تسمى بالمدافع الجبلية، وأرسلوها بباخرة، ولما وصلت العساكر إلى البقاع المقصودة لم تر حاجةً إلى ضرب البنادق بل اكتفوا بضرب بعض الدانات (قنابل) فضربوا مرمياً وألحقوه الثاني فتشتت شمل العشائر وهربوا كارهين ميدان الوغى.

(1) الطابور: اصطلاح عسكري يقابل (الفوج) في الجيش العراقي وقوامه ألف جندي.

مسير الجيش إلى المنتفق:

لكن لأجل استقرار وتثبيت مسند المشيخة لعهدة فهد بك فقد أرسل شبلي باشا قائم مقام الحلّة ألاياً[1] من الخيالة ومقداراً من العساكر المشاة، فتوجهوا نحو المنتفق من البرّ، وطابور المشاة من النهر بواسطة السفائن النهرية، وبأثناء الطريق تصادفوا مع أشقياء المنتفق، وتصادمت الجنود المشاة مع الأشقياء، وبناءً على حركة قائد الطابور البيكباشي[2] بحركةٍ منافية لقواعد الفنون الحربية ومباينة لها، بل تحرك بحركةٍ غير معقولة، انهزم الطابور من أمام الأشقياء شرّ هزيمة ولم يسلم أحد منهم غير ثمانين نفراً وقد أحرز ضباط الطابور مع قائدهم درجة الشهادة بهذه المعركة الصغيرة. ولما وصل الخبر السيىء إلى شبيل باشا رجع خائباً مع خيالته خوفاً من المصادمة مع الأشقياء ولم تحصل فائدة ما من هذه التدابير ولم يستقر أمر فهد باشا.

مسير حافظ باشا إلى المنتفق:

ثم بعد هذه الفاجعة قد عينت الحكومة رفقة من العساكر تحت قيادة رئيس أركان الفيلق السادس حافظ باشا للتنكيل بالأشقياء المرقومة، واستقرار أمور فهد بك، وتوجه إلى هاتيك

---

(1) الألاي: يقابله «اللواء» في الجيش العراقي وقوامه أربعة طوابير (أفواج) أما عدد أفراده فأربعة آلاف جندي.

(2) البيكباشي رتبة عسكرية يقابلها «مقدم» في الجيش العراقي.

الأطراف فلما عثر على الأشقياء، ضربهم الضربة القاضية على حياتهم، وقتل منهم عدداً كبيراً ولم يبق ملجأ لرؤسائهم، وجاء بمنصور بك وناصر بك أسراء وأقاموهما في بغداد بشرط أن لا يخرجوا منها، وخصّصت الحكومة لهما رواتب لإعاشتهما.

مطالعة الكاتب:

كان اللازم على حافظ باشا أن يلغي أصول المشيخة ويحوّلها إلى قائم مقامية حيث كانت من أسهل الأمور عليه لأنه أدّب الأشقياء بهمةٍ عسكرية جزئية، وخضعت لهيبته كافة قبائل هاتيك الأطراف، ولا يمكن لأكبر ذات أن يتكلم أمامه. وكان من الممكن أن يفعل ما يريد، ومع هذا فاتته هذه الفرصة بسحب العساكر حالاً، وهذا موجب للأسف العظيم حيث إنه لم يذهب إلى تلك الأطراف إلاّ لتأديب الأشقياء واستقرار أمور فهد بالمشيخة، ويعاونه على تنفيذ أوامر الحكومة. وكان قد تبلغ بهذا من قبل الوالي لكنه رأى واجتهد بفكره أنه لو سعى بِلَغْوِ المشيخة «إلغائها» وقلبها إلى قائم مقامية يجب عليه حينئذٍ أن يبقي قسماً من الجنود هناك يحكم بين العشائر، ولعدم رسوخ قدم الحكومة هناك ربما ينتج هذا الحال على الحكومة نتائج وخيمة فلهذا رجّح فكر سحب العسكر من هناك وأبان لهم أن الحكومة ثابتة على قولها:

تشكيل لواء نجد:

أجل إن حافظ باشا مصيب بفكره حيث شوهد الأمر

الذي يماثله في تشكيل لواء نجد، وذلك بناءً على مراجعة عبد اللّه الفيصل آل سعود، سيقت إلى سواحل الأقطار النجدية العساكر، وبعد حربٍ وقتال شديدين شكّلوا هناك متصرفية تسمى «لواء نجد» وأخيراً شوهدت خساراتها ومضرّاتها من جراء لغو المشيخة حالاً وسنأتي بتفاصيلها وبمباحثها المخصوصة.

سليمان فائق بك وسبب تبعيده عن بغداد:

قد ذكرنا آنفاً كيفية تعيين سليمان بك محاسباً في دائرة المنتفق، وقد بقي هناك مدة ثلاثة أشهر وتحمل كل إهانة وتهديد في المنتفق وفي سوق الشيوخ و «نوهنا» بعودته منها. ومراراً حوصر هناك ورمته العشائر بالحجارة وضربته بالبنادق وأرادت قتله، وهاجت طوائف العشائر وماجت وهو لا ينفك عن إظهار صداقته وخدمته لصالح الملّة والوطن، وصرف أموالاً طائلة من كيسه إلى أن وصل إلى بغداد ثم أرجعته الحكومة لأجل أن يجلب الأمير ناصر من المنتفق بأحسن وأسلم صورة.

ولما جاء إلى بغداد لم يكتف نامق باشا بذهاب دراهمه من كيسه، حيث صرفها لإخماد الفتن وتسكين الهياج، ولم يعطه ما صرفه من الخزينة لشدة إمساكه وبخله، وعلاوة على حسن خدمته ومكافأته لموفقياته الفعلية والجديّة أبعده عن بغداد نفياً لسوء ظنّه فيه، حيث كان يظن أنه من أعوان الأمير ناصر. ويا ليته لو نفاه إلى الأماكن الطيبة، بل أبعده إلى محلٍّ مشهور

بوخامة الهواء، وهي البصرة، بصفته محاسب المالية. فذهب إلى البصرة واهتم بوظيفته، وأسرع بإنهاج المرتبات الحجازية، وحافظ على البلاد التي ألحقت إلى البصرة، واستردت من دائرة المنتفق من مكائد العشائر. ولما رأت الحكومة اهتمامه الخارق للعادة، وسعيه المتواصل لتوسيع سلطة الحكومة، عيّنته قائم مقاماً على لواء البصرة مكافأة لخدماته الصادقة الناجحة، وما نال هذه المكافأة المعنوية الإلهية إلا لحسن نيته، وصفاء ضميره.

ولما وقعت الواقعة مع جنود شبلي باشا، وسمعت بها عشيرة بني مالك التي هي بجوار البصرة، هاجت وهجمت على الجنود هناك بكل قوّتها، وقد أخذ هذا الخبر بواسطة التلغراف الذي كان ممدوداً إلى قضاء السماوة. وعليه فقد جمع سليمان بك وجهز من صنوف الأهالي ما يتجاوز الألفين جندياً وسلّحهم وزادت القوة الموجودة هناك، وأحضر المدافع، وأكمل سائر المهمات الحربية بزمنٍ قليل. ولما رأت القبيلة المذكورة تشبثه بتكثير القوة واستعداده للمكافحة قبل أن يأتيه المدد، لم تعتبر القبيلة بهذه القوة، وظنت أنها بمكنها تشتيت شمل العساكر لغرورها بشجاعتها. ولما تقارعت السيوف بالسيوف، وهدرت المدافع، وطنّت البنادق، وقع على قلوبهم الرعب والخوف، وتركوا في ميدان الوغى قتلاهم وجرحاهم، وفروا هاربين عن مكافحة الأبطال، وكان مقدار ما تَلِفَ من القبيلة ما يتجاوز الستمئة قتيل، وجاؤوا إلى أبواب الحكومة

أذلاّء خاضعين نادمين على ما جنته أيديهم الأثيمة، ولم تقبل الحكومة دخالتهم إلا بإعطاء الكفالة وبأن يكفلوهم الذين كانوا تحت أيادي ظلمهم وجورهم واعتسافهم من الأهالي. ولما كفلتهم الأهالي قبلت دخالتهم، وما ذلك إلا كسراً لعزّة نفوسهم وتحقيراً لهم. وعلى هذه الكيفية خلصت تبعة الدولة وسائر أفراد الأهالي من شر مضارّهم ومظالمهم، وأصبحت الملّة كلها ألسنة تشكر اهتمامه، مادحة لإقداماته الصالحة النافعة للملّة والدين.

منصور بك وهربه:

وبعد وقوع حادثة حافظ باشا لم يبق ملجأ في أنحاء المنتفق لمنصور بك فاضطر أن يهرب إلى أماكن بعيدة لا تصلها الحكومة، وهاجر وبقي مدة يتجوّل في الفيافي عائشاً بين العشائر الوحشية وكانت له بعض الأملاك في مدينة البصرة فضبطتها الحكومة لتراكم الرسوم الأميرية عليها. وضاق به الأمر ذرعاً، وزاد حرمانه ويأسه، ولا سيما كانت صعاليك العرب تتهدده وتزعجه مع أنه كان من سادات القبائل والعشائر، ومن أكابر وأشراف الأمة العربية ليس له مثيل. وكلما تمضي الأيام تزعجه العربان. ورأى أن هذه الحالة تعيسة جداً لا نهاية لها، فكتب كتاباً إلى بعض وجوه مدينة البصرة يسترحم أن يتوسطه ويلتمسه من القائم مقام سليمان فائق بك فراجع المتوسط القائم مقام، وأبان له الكيفية، واسترحم منه أن يسعى لتحصيل العفو عنه.

العفو عن منصور بك:

أما سليمان فائق فإنه وإن كان قد أصابه ضرر ومحن عديدة من منصور بك إلا أنه حينما تآمرت القبائل على قتله، أخذته الشيمة العربية، فمانع وخالف مؤتمر العرب كل المخالفة، وقد رقّ لحاله وكتب إلى الوالي نامق باشا، وبيّن محاسن هذا الذات إذا جاء وبقي تحت سيطرة الحكومة، واسترحم عفوه عن جرائمه، وذلك لأجل أن يخلّصه من هذه الورطة المهولة مقابلةً له كما خلصه من قبل.

فهد بك لا يوافق على العفو عن منصور بك:

أما والي بغداد فإنه قد مسك طريق الاعتدال بهذه المسألة. وعليه قد بلّغ وأصدر أوامره إلى القائم مقام سليمان فائق بك بأن يعطيه الأمان، وكتب الكيفية القائم مقام إلى منصور بك، وجرت المخابرة بينهما بشأن العفو، وكان قد استَرَقَّ «هذا» الخبر شيخ المنتفق فهد، وكان يعتقد أن وجود منصور بك يكون مانعاً لتنفيذ سياسته المنشودة، ومخالفاً لأفكاره فبدأ يخابر الولاية زاعماً أنه قد ضيّق على منصور بك كثيراً فإذا أراد الالتجاء إلى البصرة أيضاً يقتضي تضييقه.

دهاء فهد بك:

وكان فهد لا مثيل له في الحيل. فإنه كان يخاطب الولاية بصورة، ومن طرفٍ آخر كان يحرّض العشائر ويقول لهم: إني أعلم أن الأروام، أي الأتراك، أهل مكرٍ وحِيَل، ودسائس

عظيمة لا نظير لهم في الغدر، وكان يوصل الأخبار إلى منصور بك من طرفٍ آخر ويقول له: إن الأتراك سيعفون عنك إذا وقعتَ دخيلاً عليهم، ويستثنون أملاكك من الخراج، ويظهر نفسه أنه صديق حميم لمنصور بك.

وأما منصور بك ولو أنه كان يعدّ من دهاة العرب، إلا أنه قد تورّط بقبول وساوس إخوانه وأقاربه الشيطانية، وهواجسهم النفسانية، واتبع أفكارهم الفاسدة، وخالف الحكومة العثمانية، ولما اشتدّ ساعد الحكومة، وضربتهم تلك الضربة، وشتّت شملهم، وتفرّقوا، لم يسلم من لسانهم حيث بدأوا يتّهمونه بالتهم التي لا تعقل ولا أساس لها «من الصحة» وأظهروا له الخصومات المتنوّعة، ولما شاهد هذه الحالة منصور بك من إخوانه وسائر أقاربه ولم يعينوه، و«أن» كلاًّ منهم يلاحظ منفعته الشخصيّة خلافاً لما كان يأمله منهم، لم يبق له وثوق واعتماد على أي إنسان.

ثم جاء إلى محلٍّ يبعد عن البصرة قدر ثلاث ساعات، وطلب أن لا ترفع رتبته، وأن تعاد عليه أملاكه ثم سلّم نفسه إلى الدخالة، وأخبر بهذه الكيفية القائم مقام. فرأى القائم مقام أنه ليس من الأمور المناسبة أن يتكلّم ويكتب هذه، فأصرّ على منصور بك أن يأتي دخيلاً متوكلاً على الله تعالى بلا شرطٍ. و«لكن» لم يفد ما نصحه به وأصر منصور بك على طلب الشروط، فحرّر القائم مقام طلب شروط منصور بك إلى والي

بغداد نامق باشا فجاءه الجواب القطعي أن تكون دخالة منصور بك بلا قيدٍ ولا شرط، ولا يجوز اجتماع الدخالة مع شروط. ثم حرّر إلى منصور بك القائم مقام صورة أمر الولاية، وأنه لا يجوز قبول الدخالة مع شرائط وقيود، فلم يوافق منصور بك ورجع إلى محلّه السابق.

تعقيب منصور بك:

ولما سمع والي بغداد برجوع منصور بك، كتب إلى شيخ المنتفق جواباً لتحاريره الأولية، وإلى قائم مقام البصرة سليمان فائق بك أن يجهّزوا علىٰ منصور بك فرقة عسكرية ويعقّبوه. ثم جهزوا قدر ألفي جندي، وخرج فهد لتعقيب منصور بك، وبقي مدة يعقّبه فلم يجد له أثراً، ولم تحصل فائدة من سفر شيخ المنتفق.

وخلاصة القول أن منصور بك حينما رجع آيساً من الدخالة مع عشيرته وعاش في البوادي بين العربان قدر سنة، ولم تبق له درجة يتحمل السفالة، رجع علىٰ سليمان فائق بك يطلب الدخالة منه بلا قيد ولا شرط تخلصاً من هذه الحياة، واسترحم الشفاعة من القائم مقام وأن يرحم بحاله.

أما سليمان فائق بك فاعتماداً على أمر الولاية السابق، قبل دخالة منصور بك بلا قيد ولا شرط، وأخبر الولاية ببرقيةٍ أن قبلنا دخالة منصور بلا قيدٍ ولا شرط حسب أوامركم السابقة فجاءه الأمر يأمره بالمجيء إلى بغداد مع منصور بك للمواجهة،

فذهب سليمان فائق بك ومنصور بك إلى بغداد معززين مكرمين.

تفصيل قبول الدخالة وإباءة سليمان بك:

كنا قد ذكرنا آنفاً دخالة منصور بك وقبول دخالته بلا مأذونية. وقد أخبر «القائم مقام سليمان فائق بك» الولاية أن قد قبلنا دخالة منصور بك من قبيل إعطاء المعلومات لا غير. وقد تأخّر الجواب ليومين.

أما منصور بك فقد استنكر تأخير الجواب، وتنكّر، ولكن بعد وقوعه في شبكة الحكومة، ولا يمكن خلاصه بوجهٍ من الوجوه، وقد أخذته الحيرة العظمى، وأخذ يفكر في أمره، وفي اليوم الثالث من وصوله إلى مدينة البصرة استفسر بصورةٍ لطيفة من قائم مقام البصرة سليمان بك عن «سبب» تأخّر الجواب. فأدرك مقصده المير المومى إليه لشدة ذكائه وفرط فهمه أنه قد تنكّر وتوحش من تأخر ورود الجواب من الولاية فقال لمنصور بك مخاطباً:

أيها الأخ الحميم: لا يجب عليك أن تتفكر وتلاحظ من تأخر جواب الولاية، ولا تتنكّر ولا تخف أبداً فإني لم أقبل دخالتك بأمرٍ من عندي، بل بناءً على أمر الولاية قبلت دخالتك فكانت دخالتك باسم الحكومة لا باسمي. فإذا كان آمري تسوّل له نفسه الرجوع عن كلامه، ويكتب إلي بإحضاركم مخفوراً فإني مجبور على أن أحافظ على شرفي وناموسي وحيثيتي تجاه

العالم، وإن سبب ترك رتبتي لا القائم مقامية فقط وإن تكن الرتبة أكبر من مقام الولاية درجةً وبهاءً أتركها ولا أحاذر، وإذا احتاج الأمر أترك ما تحت ملكي من الأملاك والأموال، وأهجر وطني ولا أسلّمك ليدٍ ظالمة. ولتعلم أني مجبور على محافظة حياتك ما دمت حياً إلى أن تصل وطنك آمناً سالماً على نفسك.

برقية سليمان بك:

ثم بذلك اليوم حرّر «سليمان بك» برقية لمقام الولاية قائلاً فيها: إني قد قبلت دخالة منصور بك اعتماداً على أوامركم وأملي وطيد بشهامتكم أنكم لا بدّ أن تنفذوا عهدكم ووعدكم. فعدم ورود جواب برقيتنا الأولى قد استوجب اضطراب فكر ضيفي وحزنه، وأبان محزونيته أيضاً على محزونية ضيفه وطلب سرعة إعطاء الجواب ببرقية ليطمئن قلب ضيفه ودخيله.

جواب البرقية:

ولم تمضِ سويعات من الزمن إلا وورد الجواب معتذراً قائلاً: إننا لم نخاطبكم على قبول وعدم قبول دخالة منصور بك، وليس لنا فكر سيىء في السكوت. بلّغوا مزيد الاحترام لحضرته وأمر بحضورهما إلى بغداد للمواجهة لا غير.

سفر سليمان بك ومنصور بك إلى بغداد:

ثم سافر سليمان فائق بك ومنصور بك إلى بغداد، وعند وصولهما، سارا تواً لمقام الولاية لمواجهة الوالي. وكان آنئذٍ نامق باشا مشغولاً بقراءة وتحويل أوراق المأمورين على العادة، وبعد إتمام وظيفته نظر إلى سليمان فائق بك وسأل خاطره، وفي أثناء محاورته مع المير المومى إليه، أعطى التفاتة ونظرة إلى منصور بك وخاطبه قائلاً: ايه يا منصور! إن من أغرب التصادف حين ذهابكم إلى المنتفق ذهبتَ مع سليمان فائق بك وعدتم من البصرة سواء... و«كان» قصده بهذا الكلام تلطيف منصور بك ظاهراً، ومراده الأصلي أنه حينما ذهبوا إلى المنتفق كان سليمان فائق بك بمعية منصور بك، والآن وهو جاء بمعية سليمان بك وبواسطته ودلالته جاء دخيلاً. وكان قصده من هذه تنبيهه بصورةٍ لطيفة ويذكّره عواقب الأمور.

تأنيب الوالي لمنصور بك وتلطيفه:

ثم بعد هذه الملاقاة أعطى الأوامر القائلة بذهاب المأمورين كل على وظيفته. وبناء على هذا الأمر أراد السفر المير المومى إليه لمحل مأموريته فأمر بتأخيرهما وخاطب منصور بك قائلاً:

«إن من الأمور البديهية والطبيعية، ومن جملة معتقداتنا أن الشريعة الإلهية ومقتضى القوانين الموضوعة العرفية، قد سنّت الجزاء والمكافأة حسب الأفعال التي تفعل، وإذا أمعنا النظر

وتأملنا في دقائق الأمور نرى أن الفاعل الحقيقي هو واجب الوجود، وأن كافة هذه الوقائع هي من المقدرات الأزلية السبحانية، فإني حينما نصبتكم قائم مقاماً على دائرة المنتفق ما كان لي فيه سوء نية لا عليكم ولا على آلكم وذويكم وعشيرتكم. ثم كنت أتأمل من تعيينكم ظهور منافع خيرية لصالح المملكة التي تخصكم أنتم أكثر من الغير، فظهرت حركاتكم عكس ما كنا نأمله، وخلاف مقاصدنا، وما سبب ذلك إلا المشيئة الإلهية فهكذا اقتضت إرادة الباري جلّ وعلا. فعلى هذا إني قد أعطيتكَ الرأي والأمان فليسترح قلبك وليطمئن بالك، وأقم في بيتك ولا تتفكر، ولا تلاحظ، ولا تأخذك الوهميات، فإن عفونا لا يتبدّل، ونعتقد أن العفو خير من الجزاء. قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[1] فاتبعنا كلامه تعالى وامتثلناه.

مشيخة المنتفق والرئيس فهد بك:

ثم بقيت دائرة المنتفق وحواليها باسم المشيخة تحت التزام فهد بك مدة ثلاث سنين حسب المعاهدة، ولما كملت المدة طلبت الحكومة حضور فهد بك في بغداد لأجل مزايدة التزام المشيخة المذكورة.

وبهذه الأثناء قد طلب سليمان فائق بك أن يحضر بغداد

(1) سورة البقرة، الآية: 237.

لأجل أن يخدم الملّة والدولة بأمور شتىٰ. وكان رؤساء قبائل المنتفق يحبّون بقاءه هناك إلى انتهاء مدة الالتزام ليستفيدوا من بقائه، وبيّنوا لمقام الولاية محاذير كثيرة بمجيء سليمان فائق بك إلى بغداد حيث تخلو المنتفق من المأمورين والرؤساء. ولا شك أن ذلك لا يوافق فكر الولاية، وعلى هذا ما أسعفت الولاية استئذان سليمان فائق بك بالمجيء إلى بغداد، وأمرته أن يصرف النظر الآن. ثم وضعت دائرة المنتفق بالمزايدة، وزيد إيرادها عن السنين السابقة مبلغاً جسيماً مع تفريق بعض الأراضي حسب الشروط، وقر قرار المجلس بإحالة المشيخة إلى عهدة ناصر، وأعطت الولاية الأوامر بسحب يد فهد من الأشغال وبلغت تعيين ناصر.

تلطيف ناصر بك برتبة أمير الأمراء:

ثم قد أغفلوا مقام الولاية بالأراضي التي فرّقوها فأعطوا أسماء لكل بستانٍ ومزرعة وجنينة وعرصة اسماً، وكبّروها مع أنها صغيرة فكثروا له الأراضي. مثلاً اسم أرض واحدة جعلوها أربعة أو خمسة أسماء وهي واحدة. وهذه إنما استفادوها من عدم وجود سليمان فائق بك حيث إنه كان مطلعاً على هاتيك الحوالي تمام الاطلاع.

وبناءً عليه لما أكثر ناصر بك «من» تفريق الأراضي حسب الظاهر، أنهته الولاية لرتبته فجاءته رتبة أمير الأمراء. وبعد تفريط الأمر، علمت الولاية من إشعارات سليمان فائق بك

حقيقة هذه الأراضي، وأحسّت بخطئها، وأضمرت في نفسها أن تزيد الأراضي بعد ختام الالتزام وتستوفي ما فات، إلا أن الدهر الخؤون لم يساعد هذه الديار العراقية حيث قبل أن يتم إصلاح ما أفسدته الأيام في العراق، تحوّل نامق باشا، وانتصب بمقام نظارات الحربية، وانفصل عن الولاية وقد أثّر انفصاله عند أغلب الأهلين، وساءهم ذهابه من العراق حيث كان من أكبر المعمّرين لأنه رجل إداري بكل معنى الكلمة. ساس الرعية أحسن سياسة، وأدّب الطوائف الباغية، وجعل للحكومة نفوذاً كبيراً وسلطة عظيمة، وأسس دوائر للصنائع، ورقىٰ التجارة، ونشر العلم بين طبقات الأمم العراقية. وكان تقياً يحب العلماء ومجالستهم، وأكثر الجوامع والمساجد، وبثّ روح الحياة فأثمر سعيه بأقل زمن.

مناسبة أو علاوة ناسب ذكرها وسفر نامق باشا:

إن هذا الوالي كان قد جاء قبل هذا والياً على بغداد، وكان الفساد والفجور والعصيان قد ظهر في أواخر ولاية نجيب باشا الأسبق، ومهما سعى لمحو الفساد وقلع جذوره لم يفلح لأنه أخطأ بوشاية بعض المفسدين من المتقلّبة، ولم يتمكن من قلع هذا الفساد كلياً، ولهذا كانت قد ضجرت الجنود من المحاربات الداخلية، وكذلك الأمة قد نفرت «منه» حيث كان سمّاعاً لكل ما يسمعه، ولهذا لما سمعت الملّة تعيينه ثانية على بغداد ازداد نفورهم وكدرهم، لأن العوام والخواص من أبناء

العراق كانوا ينظرون إلى الظاهر ولا يتحرون الأسباب الموجبة ولا يدققونها فلهذا زادت محنتهم واضطرابهم وبينما هم منكسرو الخواطر والعواطف إذ أشرقت عليهم شمس العدالة ما لم يروها بزمن خلافة العباسيين، وظهر خلاف ما كانوا يأملونه فإنه أكثر «من» الزروع، وأمّن الراحة العمومية، واستتب الأمن بكل نواحي البلد، وتوفّرت التجارة، وازدادت ثروة الأهلين، وقلع كل فساد، ومحا الفتن، وأغلق أبواب (شهادة) الزور والبهتان، ولطم أفواه النّمامين، وقطع لسان الكذابين ودابر المفسدين. وبعد أن فارق بغداد كما ذكرنا آنفاً، خرجت لتشييعه كافة طبقات البغداديين: رجالاً ونساء، وصبياناً وأطفالاً، وحينما تحركت العجلة به نادى جميع الحضّار (عليك عون الله فاذهب بسلام راشداً مهدياً أيها المقدام) وصرخوا بأعلى أصواتهم، ولم يبق متنفس لم يبك على فراقه رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله الغيورين على الأمة.

ولاية تقي الدين باشا:

ثم نعين بعد الوزير المشار إليه، الوزير تقي الدين باشا، وفي أول يوم جلس فيه على منصّة الحكم لم يرق بنظره رئيس دائرة المنتفق ناصر باشا، ثم ضاعف ظلمه وتعدياته على العشائر والمساكين بما لا يمكن وصفه فاضطرت أكثر العشائر على ترك أوطانهم وديارهم، وهاجروا إلى أطراف أراضي إيران الجنوبية ببقاع الحويزة قرب المحمّرة، وعمروا بلاداً بأراضي

إيران، وخربت وانمحت الزراعة من العراق، وما سبب ذلك إلا شدة الجور والظلم، فكانت ولاية الوزير عبارة عن تخريب البلاد ليس إلا، وبقي زمناً وتعيّن بمحله الوزير مدحت باشا فبالعدل سعادة الأوطان، وبالظلم خرابها.

سليمان بك وجرائد الأستانة:

وكان آنئذٍ قائم مقام مدينة البصرة سليمان فائق بك. فإنه طالما حذّر الوزير تقي الدين باشا، وبيّن له الخطر الذي ينجم من الظلم على الرعية، وأن أغلبهم بدأوا يهاجرون تاركين أوطانهم، وقلّ إيراد الميرى، ودوام هذا الحال باعث لأحوال مهولة فلم يثمر سعيه ومخابراته، فاضطر إلى إيصال خبر هذه الأحوال السيئة إلى مسامع المقامات العالية بواسطة جرائد الأستانة، وكتب المقالات الطوال، ونشرها على صفحات الجرائد، وصاح وناح إلى أن كلَّ من الكتابات، وربما أثرت أقواله في الجرائد، وحققوا أحواله، فعزلوه من الولاية، وعينوا عوضاً عنه مدحت باشا والياً. والدليل على تأثير كتابة سليمان فائق بك ورود برقية من الأستانة تبشره بتعيين مدحت باشا.

ولاية الوزير مدحت باشا:

وأول يوم وصل فيه الوزير مدحت باشا إلى بغداد، طلب ببرقية حضور سليمان فائق بك لمواجهته، وبناء على أمره جاء إلى بغداد وحظي بملاقاته، واستفهم منه المعلومات اللازمة والمتعلقة بأحوال المنتفق، فأعطاه المعلومات التامة، وبيّن له

التدابير التي يجب اتخاذها وتطبيقها. وكان قد بقي زمن قليل من ختام مدة التزام مشيخة المنتفق فلهذا أيضاً طلب حضور ناصر باشا إلى بغداد لتجديد الالتزام، إلا أنه[1] بعد أن تعرف بالوزير المشار إليه مع أطرافه وحاشيته، أراد أن يصيدهم بشبكة كيده فقدم عريضة قال فيها: إنه قد بقي من مدة الالتزام قدر شهرين، وهذا الوقت هو أوان التحصيل وجباية الأموال ولئلا تحصل مغدورية طلب تأخير الالتزام إلى الوقت المرهون، فاسعف طلبه وعلّق المسألة إلى وقتها.

تحويل البصرة إلى متصرفية:

ثم بحسب التشكيلات التي وافق عليها المجلس الكبير، تحوّلت البصرة إلى متصرفية، وأبقاها بعهدة سليمان فائق بك وأوصاه بتأكيد وسرعة إنجاز التشكيلات الجديدة. ولئلا يكون مانعاً لتأخيره، أعطاه الأمر بالذهاب إلى محل مأموريته، وأوصاه بالأمة خيراً، وأن لا ينفك عن قانون العدالة الصارم قيد شبر.

مشايخ المنتفق والالتزام:

ثم لما حان وقت التزام المشيخة، طلب الوزير حضور سليمان فائق بك «إلى» بغداد، فجاء إلى بغداد حالاً، غير أن ناصر باشا كان قد تأخّر عن المجيء بضعة أيام، فتواجه

(1) أي ناصر باشا.

سليمان فائق بك مع فهد باشا كثيراً قبل مجيء ناصر باشا، وتذاكر بأمر الالتزام، وقد رغّبه على ترك الأراضي والقرى والمزارع الواقعة على ضفاف نهر شط العرب ونهر دجلة والأراضي الممتدة من القرنة[1] إلى ما فوق الحمّار[2] الواقعة على نهر الفرات (وكانت تبلغ وارداتها السنوية عشرين ألف ليرة عثمانية) وإعطاء المشيخة ببدلها السابق، فأظهر فهد باشا نفسه طالباً وراغباً على هذه الشروط، إلا أن ناصر باشا يوم قدومه إلى بغداد ذهب لملاقاة الوزير وقبله لحضوره، وعند ملاقاته بادره مخاطباً: (إن فهد باشا يترك الأراضي المعلومة، وطلب المشيخة ببدلها السابق، وبما أنكم من الذين لهم اليد هناك فما تقول؟) فأجابه ناصر باشا تواً: أيها الوزير العالي الهمم! أنا الفقير بهذه الساعة جئت ولم أذهب للبيت لأستريح، فهذا الشيء الذي تأمرون به يقتضي له تفكّر وتأمّل واستشارة، فأسترحم أن تعطوني مهلة قدر يومين ثم بعد انقضائها أعرض على مسامعكم النزيهة ما أفتكره. فأجابه (الوالي) لما طلب وأعطاه مهلةً قدرها ثلاثة أيام.

---

(1) القرنة موضع اقتران دجلة بالفرات ومنه اسمها وهي اليوم قصبة تبعد عن البصرة شمالاً 75 كيلومتراً ويقطنها 4500 نسمة.

(2) الحمّار - بتشديد الميم - بحيرة تقع بين البصرة والناصرية وتبلغ مساحتها (5200) كيلومتر مربع.

حيرة ناصر باشا ومنويّات الحكومة:

ثم لما خرج «ناصر» من مقام الولاية وذهب للاستراحة في بيته، تذكّر أن ذهاب هذه الأراضي المراد تركها مثل قصبة (مدينة)[1] وجزيرة البصرة هي أساس قوة المنتفق، ويبلغ قدر النفوس الذين يحملون فيها السلاح ما يتجاوز الثلاثين ألف فارس، فإذا تركها لم تبقَ له قوة بل بتركها تذهب سطوته، وهذا هو أصل مستند المشيخة فعظم عليه الأمر، وحار في أمره حيرةً كبيرة، ولا سيما وكان المتداخل في الأمر سليمان بك، فضاقت به الدنيا على رحبها، وطمس في بحر الهموم والغموم، لعلمه أنه إذا ترك هذه الأراضي، تتوسع المسألة أي تنمحي المشيخة وتنقرض تدريجاً.

هذا ما كان من أمر ناصر باشا، وأما سليمان بك فإنه كان يفتكر بأنه إذا وافق على هذه الشروط ناصر باشا فهل يمكنه إقناع فهد بك على ترك أراضي أخرى؟ وكانت هذه الفكرة تجول في خاطره فلم يسترح باله.

انفراج الأزمة على ناصر باشا:

ثم في تلك الأثناء ذهب لإيفاء مراسم تبريك القدوم إلى بيت ناصر باشا، رجل منسوب إلى الجماعة الموسوية في بغداد

---

(1) المدينة «بالتصغير» ـ كجهينة ـ ناحية جسيمة تابعة لقضاء القرنة وتشمل قسماً من ضفة الفرات اليمنى وقسماً من ضفته اليسرى.

ومن أبالسة المأمورين ووساطة ارتكابهم وسائر فضائحهم المذمومة، والدليل الوحيد لسرقة الأموال الأميرية ونهب الأمة[1] فتجاذبا أطراف الحديث، والحديث ذو شؤون وشجون، وسأله عن سبب كدره وغمّه؟ فأخبره ناصر باشا بالمسألة على وجه التفصيل، وأبان لليهودي محاذير ترك هذه الأراضي، وأنها ثقيلة عليه. فلما وقف هذا اليهودي على المسألة تماماً، تعهّد له بإجرائها على ما يروم ناصر باشا ويريد. ولا أعلم ماذا عمل اليهودي حيث وضع مسألة الباشا المشار إليه حسب مطلوبه ورأيه، والتزم المشيخة بزمن يسير بلا ترك أراضي، وخلافاً للشروط. وما عدا ذلك تعهد له بإرجاع الأراضي التي كانوا قد تركوها سابقاً بزمان الولاة السابقين الذين لم يتوفقوا على تركها للحكومة إلا بعد عناء شديد.

معاون الوالي رائف أفندي واليهودي:

ثم ذهب اليهودي في اليوم الثاني لحضور (مجلس) رفيقه معاون الوالي رائف أفندي (تويسز رائف: أي عديم الشّعَر) وتذاكر معه بمسألة المنتفق خفيةً، واعترضوا على الوزير، وأبانوا محاذير وسيّئات ترك الأراضي قائلين له: (كما أن بغداد والبصرة ممالك عثمانية، كذلك مدينة المنتفق وأطرافها من

---

(1) اسم هذا اليهودي «عزرا» كما ورد في آخر هذا الكتاب والظاهر أن عزرا أخ حسقيل المشهور صراف حالت أفندي الذي ورد ذكره في كتاب «تاريخ المماليك في بغداد» للمؤلف في الصفحتين 46 و 47.

الممالك العثمانية فما هو المقصود من ترك بعض الأراضي وإبقاء الأراضي الباقية تحت سلطة المشيخة فهل أنكم لا تعتبرونها من الممالك العثمانية أم ماذا؟ فإن كان الجواب «لا» فلماذا تعطونها بالالتزام تحت سيطرة ظلم المشايخ وغيرهم؟ فاللازم على الحكومة أن تجعل لها تشكيلات، وتفصل دائرة المنتفق مع أراضيها، وتجعلها متصرفية، وتعيّن لها متصرفاً ناصر باشا فتكون الجميع بقبضة الحكومة، بلا ترك أراضي، فإن مثل ترك الأراضي كمثل الذي يأخذ الدراهم من جيبه الأيسر ويضعها في جيبه الأيمن ويقول: إني كسبت هذا، والحال الدراهم دراهمه. فأقنعوا مدحت باشا بوساوسهم، وجعلوا مذاكرات سليمان بك ومباحثاته الطويلة نسياً منسياً. وعلى هذا استراح بال ناصر باشا ونال ما يرومه.

اعتماد مدحت باشا على معاونه:

أما مدحت باشا فكان يعتمد على رائف أفندي تمام الاعتماد، فليتصوّر صاحب الإدراك والفهم القوة الجاذبة بين رائف أفندي وناصر باشا، بحيث إنهما اتحدا، وصارت كلمتهما هي الكلمة العليا فما هي يا ترى؟ إلا أنه في آخر الأمر وقع رائف أفندي في هوة عميقة، وسنذكرها مفصلاً مع كيفية مجازاته بعد أن كان يترقب المكافأة والمناصب الرفيعة.

والحاصل بناءً على تشكيلات الولاية الجديدة تعيّن ناصر باشا متصرفاً على المنتفق، وذهب لإجراء التشكيلات هناك،

وعاد سليمان بك إلى البصرة على وظيفته[1].

الثورة في الحلّة:

وبتسويل اليهودي المار ذكره، عيّنوا متصرفاً لقضاء الحلة، ولم يكد يصل هذا المتصرف إلى محل مأموريته حتى

---

(1) ابتداء من عهد معشوق باشا أخذ العثمانيون بتقليص الزعامة البدوية وإنهاء نفوذ آل سعدون. وقد اشترك في ذلك معشوق باشا وداود باشا، وسليمان باشا، ونامق باشا في ولايته الأولى وفي ولايته الثانية، ورشيد باشا، ومنيب باشا وعبد اللّه أغا، وسعيد بك وهدايت باشا، ومدحت باشا، وكانت نهاية التصفية على يد مدحت باشا. لقد أفهم مدحت باشا الزعيم السعدوني، وهو الشيخ ناصر، أن العراق لا يصلح لإمارة بدوية أبداً، وأن المشيخة زائلة إن لم تكن اليوم فغداً، وأني أريد أن أعطيك روح الزعامة فلا تهمّك الألفاظ. تعال نقلب الشيخ باشا، والزعامة وظيفة كبيرة، والشرطنامة ورقة تفويض، وعلى مثل هذا تمت الموافقة وقام مدحت باشا بعدة أعمال:

أولاً ـ انتزاعه موقع «المزيرعة» و «الشرش» ومدينة بني منصور من نفوذ المنتفق وتأسيس قضاء القرنة.

ثانياً ـ تأسيسه مدينة الناصرية وجعلها لواء.

ثالثاً ـ إماتته لشط «الكار» بسبب إقامته سد الدغارة.

رابعاً ـ إقحامه التعليمات العثمانية الصادرة عام 1864 حول تفويض الأراضي الأميرية وتطبيقه الفقرة (أ) من المادة الخامسة بتأسيس مديرية الدفتر الخاقاني.

ومن هنا يطوى سجل آل سعدون إلا في مظاهر هيّنة لا قيمة لها في تأريخهم مثل متصرفية فالح باشا، وقبلها ولاية ناصر باشا على البصرة، ومن بعدها الاعتراف بمشيخة سعدون باشا ابن منصور باشا، وأخيراً نصب الإنكليز في عهد الاحتلال إبراهيم بك ابن مزعل باشا متصرفاً في لواء المنتفق.

باشر بنهب الأموال، وإكراه الرعيّة على إعطاء الرشوة بدعاوى مزورة. واستعرت نيران العصيان بالحلة، فأرسلت الحكومة طابوراً من الجنود فهجموا عليهم وقتلوهم وجرحوهم كلهم إلا ما قل وندر. وعليه جهز الوزير مدحت باشا قوة كبيرة، وذهب إليهم فلم يتوفق في إخماد الفتنة، ومهما حاول إطفاءها يزداد لهيبها حتى اتسعت وانتشرت إلى كافة أنحاء الخطة العراقية.

سنوح الفرصة لناصر باشا:

أما ناصر باشا فإنه استفاد من ظهور الاحتلال في الحلة فرصة ثمينة لإجراء أغراضه، وسولت له نفسه تكثير المظالم والتعديات على حقوق الغير بدل التشكيلات التي كان ملزوماً بإجرائها، ولم تنته نفسه عن غيّها، بل أسرع وعيّن المأمورين للجباية، وأرسلهم لكل طرف، وزادت مظالمه على الرعية، وكبر أمره وهو إذ ذاك في بغداد مع قسم من الخيالة بمعية مدحت باشا حسب الأوامر والدعوة من قبل الحكومة، وأصبحت دائرة المنتفق قطعة جورٍ وفساد بهذه المدة، ولا تستطيع القبائل مخالفة ناصر باشا خوفاً من شرّه وكيده.

سفر الجيش إلى الحلّة:

ثم إن الجنود المظفرة حينما خرجت تحت قيادة الوزير الخطير مدحت باشا لكفاح الأعراب الثائرة في الحلة وأطرافها، وقع قتال عنيف ومعارك شديدة بين العساكر والعربان، ولم تحصل نتيجة حسنة للحكومة. ثم ظهر البغي والفساد عند عشائر

الدغارة، فتوجهت الجنود نحوهم لإطفاء نار هذه الثورة، ورأت الهيئة العسكرية أن تسد نهر الدغارة سداً محكماً تأديباً للثائرين وبذلك السد تعطلت أراض كثيرة من الزراعة والحراثة.

وبالأخير رأت الحكومة أن سد هذا النهر قد استلزم مضرة الخزينة أكثر من الأهالي، وأصاب الحكومة ضرر كبير من نقص الأموال، مع أنهم صرفوا أموالاً طائلة ومهمات حربية كثيرة، عدا سفك الدماء التي وقعت، والمحن والمشاق العظيمة التي تكبدتها الحكومة، فصادفت من جرائها الضرر العام، ولم تنتفع بشيء، فاضطرت آخر الأمر لفتح هذا النهر.

وأما السبب الباعث لهذا، عدم وقوف الأمراء على مزاج وطبيعة الأهالي، وحرمانهم من نور السياسة، فكان جل اعتقادهم بأن السياسة والكياسة هي سلاح العاجز، وسلاح القوي السيف الحاد، ولكن أين فائدة السيف؟ هل تمكن السيف من إطفاء ثورات العرب؟ كلا بل زاد نارها واشتد سعيرها وأوارها فعادوا خاضعين لأمر السياسة حينما رأوا أن جميع أعمالهم وتشبّثاتهم الشخصية والجدية لم تثمر بل بقيت تحت حكم اللاشيء. «وما وضع السيف بموضع السياسة إلا كوضعه بموضع العصا»[1].

فكانت جميع هذه الوقائع درساً وعبرة لمدحت باشا وزير

---

(1) أصل البيت:

ألم تر أن السيف يزري بقدره ... إذا قيل إن السيف خير من العصا

بغداد، استفاد منها كل الاستفادة، كما استفاد نامق باشا حينما ولّي بغداد في الدفعة الثانية من الفتن والغوائل الثائرة زمن نجيب باشا. وبالأخيرة صحح هفواته التي حصلت من نتيجة تلك المشاجرات التي لا طائل تحتها وليس لها نهاية.

منويات مدحت باشا:

وكانت جل مقاصد مدحت باشا إصلاح حالة العشائر بالقوة الترهيبية، وبالسيف وتصغير نفوذ دائرة المنتفق ليس إلا، ولما لم يثمر كل ما عمله من التشبثات، وأسفرت النتيجة بالضرر عليه، علم آنئذٍ بخطئه إذ بهذه الوقوعات قد اتسع نفوذ دائرة المنتفق، وسرت إلى الأطراف، وانضمت إليها كافة القرى والأراضي الأميرية، حتى أنهم استولوا على مدينة البصرة، وزاد نفوذهم وسبب ذلك سوء الإدارة لا غير.

إغفال مدحت باشا وتفاقم الفتن:

قد ذكرنا آنفاً أن من جملة شرائط مشيخة دائرة المنتفق، ترك الأراضي الواقعة على ضفاف شط العرب ونهري دجلة والفرات، وإلحاقها إلى لواء العمارة ولواء البصرة. وكان قد وقع الاتفاق على هذه الشروط. إلا أنه حينما جعلوا دائرة المنتفق متصرفية حسب تشكيلات الولايات، بقي القرار القائل بترك الأراضي على حالته بلا تنفيذ.

ثم لما ذهب ناصر باشا لمحل مأموريته، خابر الولاية

على عدم ترك الأراضي، وجرح بمدّعيات سليمان بك المار ذكرها، وطلب من الولاية كشف هذه الأراضي وإلحاقها إلى أقرب لواء، وكانت هي أقرب محل إلى المنتفق، وهكذا أغفلوا مدحت باشا، مدّعين أن أقوال سليمان بك مجهولة. وهذه ظاهرة لذي عينين، فحسّنوا له الأمر، ولم تترك الأراضي. وعليه قد نقص إيراد الميرى عن السنين السابقة، فذهبت أعمال الولاة السابقة والشاقة والمحن المتنوعة أدراج الرياح بعد أن نالوا الموفقية بفصل هذه الأراضي عن مشيخة المنتفق. أهذه هي الإدارة الجديدة أم هذه هي السياسة المنشودة؟

عودة مدحت باشا إلى بغداد وسفره إلى البصرة:

ثم رجع مدحت باشا بعد غائلة الحلة إلى بغداد، وعاد ناصر باشا إلى دائرته ومركز حكمه بلاد المنتفق. ثم أخيراً عزم الوزير مدحت باشا على السفر إلى لواء البصرة ليتفقد شؤون المملكة، فذهب إليها، واستقبله الأهلون أحسن استقبال. وكان معه اليهودي المار ذكره، وكان قد أدرك درجة كفاءة ناصر باشا ودرايته، ملاحظاً بل خائفاً هدم أركان ما بناه مع ناصر باشا من الغير. وفي البصرة أيضاً باع فنّه ومهارته العالية، وتوفق لمرامه أحسن توفيق، وسنذكر أعماله بالبصرة بمحلها.

ثم إن الوزير مدحت باشا حينما وصل إلى مجمع النهرين وملتقى البحرين (دجلة والفرات) بقضاء القرنة الكائنة شمالي البصرة، شاهد بأم عينه القرى والأراضي المصمم فصلها،

واستفسر حالة أهاليها فأظهروا منتهم ورغبتهم بالانفصال، وخلاصهم من الجور والظلم. واعترف أمامه الأكابر والمشائخ المجتمعون عنده بالظلم الذي لحق بهم. ثم أمر بانفصالها، وأعطى القرى مركزاً في القرنة، وعين له قائم مقاماً تابعاً للواء البصرة وبلّغ الحاضرين عنده، أن عليكم أن تراجعوا قائم مقام القرنة بسائر أعمالكم. فأظهروا له رغبتهم وشوقهم له، وأنهم سيبذلون قصارى جهدهم وسعيهم في أمر الزراعة والحراثة لكونهم خلصوا من الأيادي الظالمة، وشكروا فعله هذا، ودعوا له بالموفقية لصالح البلاد.

مجيء ناصر باشا إلى القرنة ثم إلى البصرة:

ثم بعد أيام قلائل جاء ناصر باشا من المنتفق، ومرّ بقضاء القرنة، وكان يقصد مدينة البصرة، وحينما رأى الحالة قد تغيّرت، جمع رؤساءها وأعيانها وخاطبهم قائلاً «إنكم تابعون لدائرة المنتفق فإن رضيتم بانفصالكم عنا تندمون حين لا ينفع الندم» وهددهم. وعليه كدّر القائم مقام رفعت بك وأهانه بمظاهراته التي أجراها هو وأعوانه في القرنة.

ثم قفل إلى البصرة، وذهب تواً لمعلم العقل والكمال، وأستاذه في الحيل «اليهودي» وذكر له كيفية فصل هذه الأراضي، وأنها أضرّت بدائرة المنتفق ضرراً كبيراً. وعليه ذهب اليهودي إلى حضور الباشا وذكر له سوء عاقبة ترك الأراضي، وأنه يوجب ويسبب لأحداث غوائل كبيرة، واختلال عظيم أكبر

من اختلال الحلة فالأحسن إبقاؤها على ما كانت عليه دفعاً للغوائل التي تقلق راحة الحكومة، وأبان له عناد ناصر باشا في مسألة ترك الأراضي.

مذاكرة مدحت باشا لسليمان بك في مسألة الأراضي:

وبناءً على ما تقدّم سأل من سليمان بك الوزير مدحت باشا قائلاً: إن ناصر باشا متعند في مسألة ترك الأراضي، ومنصور بك لا يظهر نفسه ولا يقترب منا، فعجباً هل بوسعنا أن نجد من بوسعه أن يوافق على ترك الأراضي؟ فأجابه سليمان بك قائلاً:

«كان فهد باشا أعطى كلاماً على هذه العهود حينما كنا في بغداد، ولو كلّفته الحكومة بعد تكليف ناصر باشا وموافقته، لترك الأراضي المزبورة، وحسب ظني أنه كان يقبل بترك الأراضي الأخرى ويرغب بالالتزام أما الآن فهو في بغداد ولا أعلم فكرته ومقصده».

فقال الوزير: إنا إذا أحلناها لغير ناصر باشا وهجمت علينا عشائره فماذا نعمل؟ فأجابه: «لا تغركم عشائر هذه الأصقاع فإنهم ليسوا بمحاربين مثل عشائر الحلة، فباستطاعة الحكومة أن تؤدب البغاة بطابور واحد من الجند تأديباً كافياً ضامناً للأمن والراحة، ولا سيما عشيرة السعدون».

«**عشيرة السعدون**: هي شعبة متولّدة من اجتماع عشيرة بني مالك والأجود الذين ذكرناهم آنفاً، ومن رئيسهم الذي أتىٰ من

الأقطار النجدية. فإن هذه العشيرة قد فسدت محاسن مزاياهم وأخلاقهم الفطرية لكثرة ظلمهم وتعدياتهم، وتبدلت بداوتهم بالحضارة، وفراستهم بالجهالة، ولم تبق رذيلة وجور وفسق واعتساف إلا ارتكبوه، وأغلب طوائف العشائر متنفرون منهم، ومنكسرو الخواطر من مظالمهم، ولا يمكنها الوقوف أمام أذى قوة بل بقوة جزئية يجبرها على قبول كل طلب، وهذا شيء محقق» فبهت الوزير وسكت ولم يتكلّم بكلمة.

مطالعة سليمان بك مخاطباً مدحت باشا:

ثم قال له سليمان بك: إنكم قد فهمتم خطأكم من أن الأمور تنتهي بقوة السلاح، فهذه النظرية لا يمكن تطبيقها على العموم لأن عشائر الحلة والخزاعل شيء، وعشائر هذه الأطراف شيء آخر، وأن غوائل الحلة أرهبتكم لأنهم قوم محاربون. أما هؤلاء فليسوا كما تظنون، وإن فاقوا على عشائر تلك الأطراف عدداً، وإنكم تحاذرون تكرر حدوث الغوائل وتحبون المسالمة لكن بهذه المسألة قد انحطّت قوة الحكومة وسلطتها. فهنا أي عشائر المنتفق يمكننا أن نؤدبهم بالقوة الجبرية. وما قصدي من هذه الكلمات إلا إزالة واهمتكم وتثبيت جنانكم فإن الكثيرين من المخالفين يذكرون لكم قوتهم وعددهم وما ذلك إلا لترويج مقاصدهم ومنافعهم الذاتية ليس إلا. أما الوزير مدحت باشا فإنه عدل عن تقاريره وإفاداته الشفهية بخصوص إفراز الأراضي، وحصل على مرامه ناصر باشا ونال كل ما كان يتمناه.

تحريك ناصر باشا على سليمان بك:

فبدأ ناصر باشا يحرك أهالي البصرة ويحرضهم على أن يقدموا الشكايات المتعددة ويطلبون من الوالي عزل سليمان بك فلم يجسر أحد من الأهالي على ذلك ولكن (كثر) عليه القيل والقال بقصد إيصال الخبر إلى مسامع الوزير، ولكن لا تثمر شكاياتهم ما دام سليمان بك حاكماً عليهم، ولما رأى ناصر باشا خيبة ما نصبه من الحيل والدسائس أشاروا عليه فعلّموه أن يتكلم مع الوزير بغير صورة وقال له: أيها الوزير الخطير: إنكم تطلبون مني التشكيلات الجديدة في دائرة المنتفق، وتطلبون إنجازها. فهذا شيء لا يمكن الوصول إليه إلا بعد زوال سليمان بك من البصرة. فما دام سليمان بك حاكماً في البصرة لا أستطيع على التشكيلات وتكون التشكيلات المطلوبة خيالاً لا غير.

استعفاء سليمان بك بإشارةٍ من مدحت باشا:

وعليه أرسل الوزير مدحت باشا إلى سليمان بك وخاطبه قائلاً:

«يا سليمان بك! صار لكم مدة أربع خمس سنوات تحكمون في البصرة، وحسب مشاهداتي واستماعي أن قد نفرت منكم الأهالي ورؤساء المنتفق وأراهم متوحشين من عندكم، فاللازم عليكم أن تعطوا استعفاء وتستريحون في بلدتكم، فإذا فعلتم ذلك أكون ممنوناً ومسروراً» ثم أجابه سليمان بك قائلاً:

«إني لأعجب من نفسي كيف تحملت الأذى والجفا طول

هذه المدة في مثل هذا المحل الموصوف بوخامة الهواء والماء، وإني لأشكر أمركم وإخطاركم حيث الآن قد استراح بالي من هذا العناء».

وبعد مقابلة الوزير بهذا الكلام خرج من عنده وحرر استعفاءه وأرسل به إلى الوزير.

إمتنان الوزير من ذلك:

أما مدحت باشا فإنه سُرَّ غاية السرور من هذا المير المومى إليه حيث وافقه بلا توقف، ثم اطلع على ما حرّر بأمره الذي أعطاه إلى وكيل سليمان بك حيث يقول إن سبب عزل سليمان بك هو استعفاؤه، وبناءً على استعفائه عينكم وكيلاً عنه. وكان يبدي الوزير محظوظيته ومنته من الوجوه ومن المأمورين حيث إنه كلما أخطرهم سارعوا إلى الموافقة والامتثال، وأي فائدة من عدم الامتثال؟ إذ إن ناصر باشا وأعوانه مهما تشبثوا بشيء يحصل لهم طبق مرامهم، ولهذا قد زاد تبصّرهم في النظر إلى الأشياء البعيدة لتأمين منافعهم وإن هلكت الأمة برمتها. وقد رقصوا طرباً بانفصال سليمان بك عن البصرة لأنه كان عقبة كؤوداً أمام مطامعهم ومظالمهم.

ترجمة سليمان بك:

أما سليمان فائق بك فكان من سكنة بغداد، ومن متنفذيها، وله حاشية كبيرة في بغداد وخارجها، وكان كثير

التردد على الأستانة فلهذا له أودّاء وأصحاب كثيرون هناك فحصل عندهم تأثّر كبير على انفصاله بلا حق، وباشرت أعوانه تخالف إجراءات الحكومة «ولو أن الذبابة هي لا شيء لكنها تخبّث المعدة» فخدشوا أفكار الوزير، وحصلت ولولة عظيمة، وشاع ذكر الصرّاف اليهودي «عزرا» وذاع، وأخذت الألسن تذكر وتحدّث عن ارتكاب اليهودي أشياء لم تعرف من قبل.

طلب الحساب من سليمان بك:

ثم اتّهم سليمان بك بالاختلاس عند المحاسبة بقدر ثمانية عشر ألف كيسة، والكيسة هي خمس ليرات فيكون المجموع تسعين ألف ليرة، وبقي في البصرة لإعطاء المحاسبة قدر سنة، وبالنتيجة لم يتبيّن اختلاس قرش واحد، وظهرت براءته عند رؤية الحساب.

ثم اتّهموه عند بيع الحبوب قائلين إنه باع قية (أوقية: حنطة في عشرة قروش وأمر أن تقيّد بسبعة فارتكب من هذه المقادير الألوف من القروش، وكانت هذه الإفادة إفادة الصرّاف والمحاسب، فاحتج عليهم وقال إن هذه الفئات انقطعت في المجلس، وفيها مضبطة المزايدة والإحالة فعليكم بتدقيقها، ولما دققت لم يتبين عليه شيء فبهت المفتري، ونجاه الله تعالى من إفكهم وأياديهم الأثيمة، وبقيت مدينة البصرة مأكلاً للولاة والأمراء وشيوخ دائرة المنتفق، وذهبت أعمال الولاة السابقة أدراج الرياح، واختل نظام الملك، واستبد الولاة بأفعالهم،

وزاد الظلم والجور، وخرب ما كان عامراً، وترأس من كان سافلاً، ولا سامع لنداء الناصحين، وحتى اليوم نشاهد تأخر العراق وحواليها حتى أصبحت مطمح دول الأغيار والمستعمرين، وتمكنوا من بثّ بذور الفساد في هذه الخطة. وهذا قليل من كثير، وسنذكر تفاصيل وقائع المنتفق على التفصيل بمقالاتنا الآتية إذا سنحت لنا الفرصة الأخرى إن شاء الله وهو الموفق والمعين،

تمّت كتابة هذه الرسالة الوجيزة منقولة من نسخة معرّبة من الأصلية التركية، وكان تمامها يوم الثلاثاء من شهر رجب الفرد لاثني عشر يوماً خلت منه لسنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف.

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الوار

حرف الهاء

فهرس الأمكنة والبقاع

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

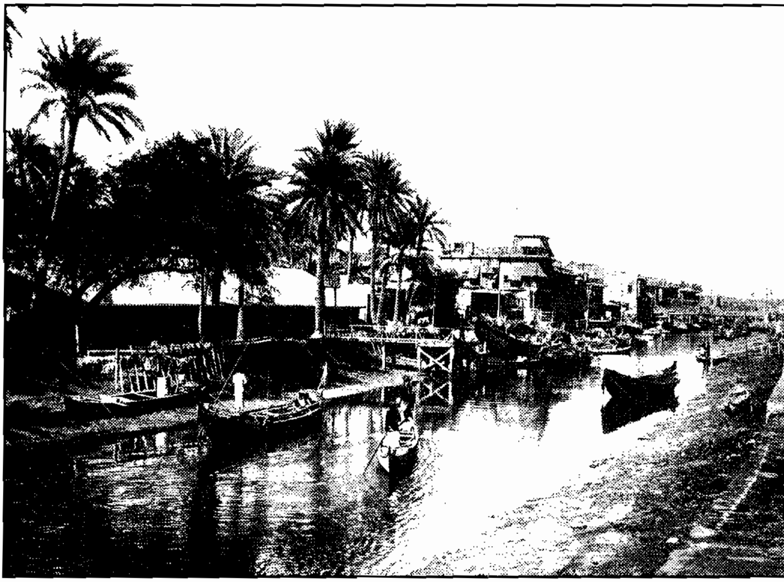
حرف الياء



جدول العشار - البصرة.



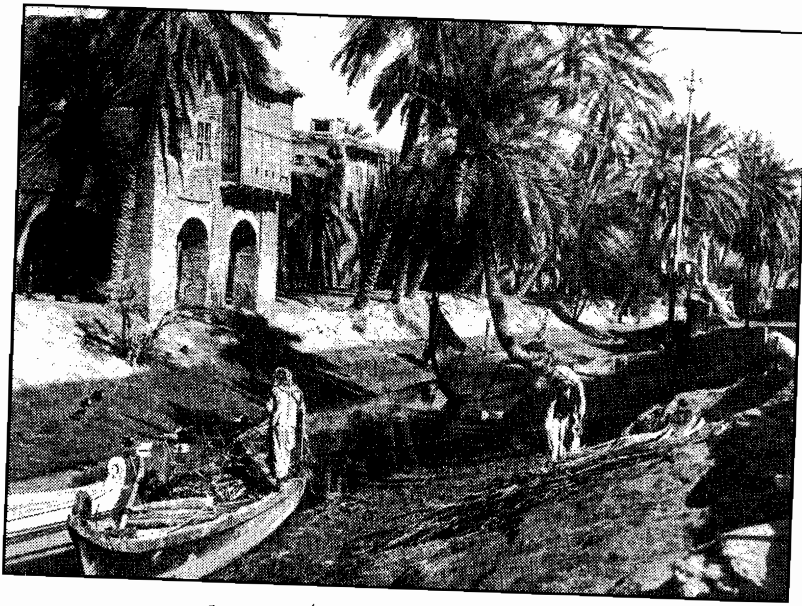
ساحة السوق - البصرة.



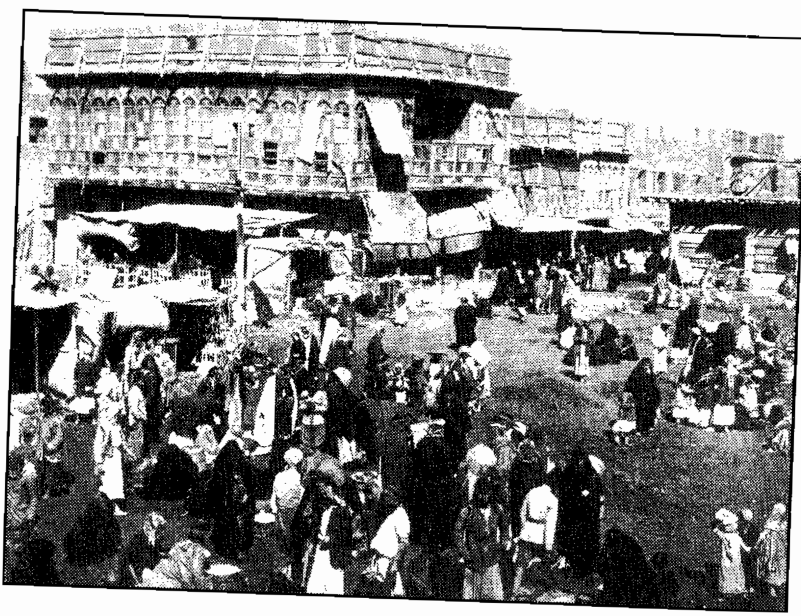
جدول العشار فرع البصرة.



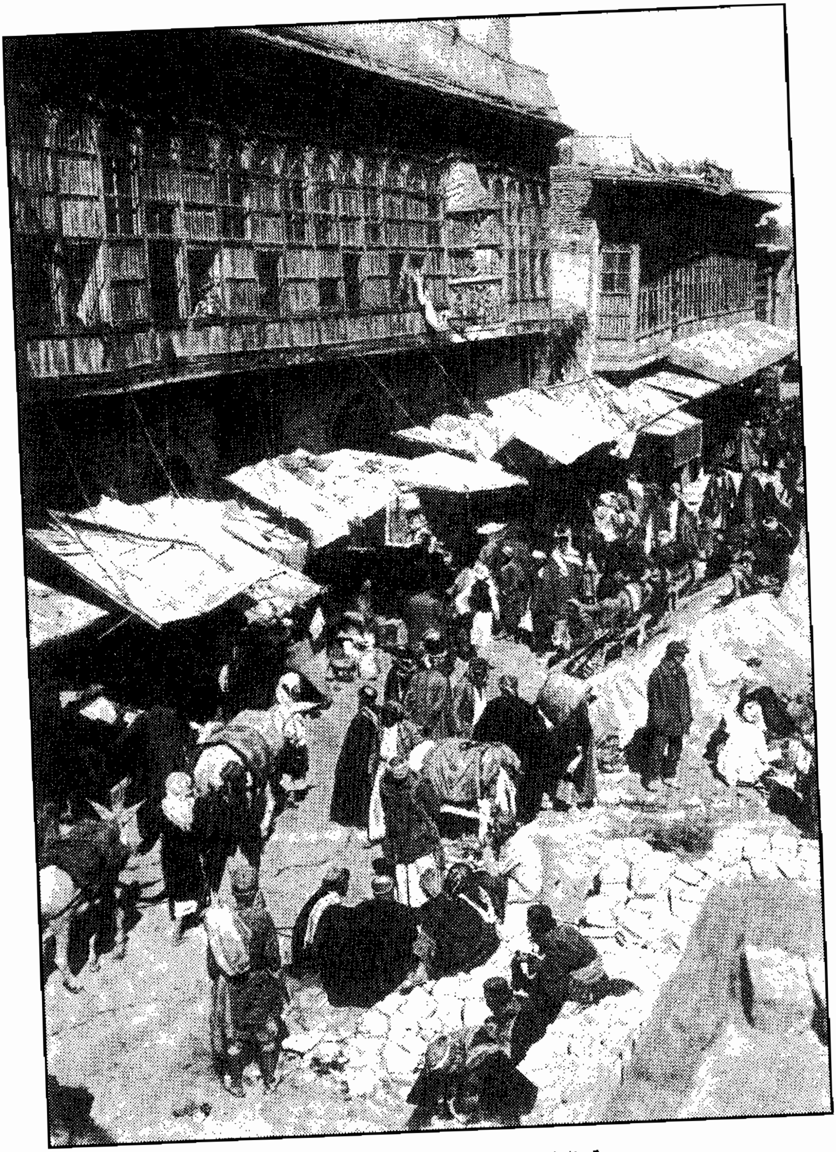
جسر واتيلي في العشار - البصرة.



جدول السراي (أومدة السراي) - البصرة.



سوق الدجاج - البصرة.



سوق الشيخ غزال في العشار - البصرة.

الفهرس

كان للقبائل العربية الموجودة في العراق إبان الحكم العثماني دور كبير، حيث كانت على الأغلب مناوئة للحكم التركي رافضة الرضوخ له، ومن أكبر هذه القبائل **عشائر المنتفق** التي ترجع بوجودها في العراق إلى ما قبل القرن الخامس الهجري على الأرجح، ولكن شوكتها قويت بعد قيام الدعوة الوهابية التي أقضت مضجع الحكم العثماني فحاول محاصرتها والقضاء عليها دون جدوى.

واستغلت القبائل ومنها بنو المنتفق انشغال العثمانيين بالدعوة الوهابية فاستولت على البصرة وغيرها. وتغاضى الترك عن حركات الأعراب وتصرفاتهم حتى سنحت لهم الفرصة فانقضوا عليهم واخضعوهم لسلطان الدولة، ولكن الأعراب كانوا دائماً شوكة في عين العثمانيين، وكانوا يترقبون أيام الضعف أو انشغال الحكم فيحققون مكاسب قبائلهم وعشائرهم، وكانت العلاقات بين بني المنتفق والحكم العثماني علاقات كرّ وفرّ، ولكن السمة البارزة ذلك العداء للأتراك.

وظهر في بني المنتفق شيوخ ذوو مكانة عالية وحنكة وتجربة **ومن أهمهم حمود الثامر** الذي قوي أيام سعيد بك بن سليمان باشا والي بغداد والبصرة وكركوك، ولم يهادن الأتراك ولم يهادنوه وبقي مقاتلاً شرساً رغم أنه عمي في أواخر أيامه.

الناشر